وهكذا يمضي الخميس

إلى إفروديت

الجزء الثاني

© حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتـــاب: وهكذا يمضي الخميس (إلى إفروديت) الجزء الثاني
تـأليـــــــف: علي عبد اللطيف
القـطـــــع: 21X14
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
سنـة النشـر: 2025
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 3594 / 2025
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 607 - 4

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

وهكذا يمضي الخميس

إلى إفروديت

(الجزء الثاني)

رسائل نثرية

علي عبد اللطيف

مقدمة وإهداء

إلى إفروديت (وعد النوار)،

سيدتي التي ما بارحت يومًا مستقرها ومستودعها لدي،

إليك وحدك، فقد أخفقت أن أكون ذلك الرجل الذي تحلمين به.

إلى كل المخفقين في وعودهم،

إليكِ حبيبتي أكتب، لا لنفسي، بل أضغط على يراعي وهو جزل ليخط معاناة كثيرين.

كثير منا عاندته الظروف، فعاكست أمانيه ووعده لكِ سيدتي وما كان بيده.

إنها تلك اللحظة ما بين التمني وعدم المقدرة على الوفاء.

سيدتي،

لا تدركين كم من الألم يجتاح الحنايا حين يعجز الإنسان عن أداء ما أراد أن يقدمه إليكِ.

إلى كل المتعبين وهم يحاولون ولا يجدون مناصًا من الفشل، فلا يستسلمون، بل يعاندون سكة التيار ويحلفون أن يغيروها أو يغرقون.

إلى أولئك الذين آمنوا أن باطن الأرض خير من ظاهرها وتمنوا الموت على الانكسار أمام عيني المحبوب.

إلى من رأوا يونس يسبح في بطن الحوت في ظلمات بحر لجي بضع سنوات، ولم ينل منه القنوط.

إلى من تذكروا أيوب، لم يشكُ الضر إلا حين غشي السقام لسانه فعجز عن ذكر الله، ففاض إليه: "رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين."

إلى كل من تقدم بوعده فضحكت عليه الدنيا، أن يا سيدي لم يئن ميعاد وفائك.

إلى من آمن بوداعًا يا ظلام الهم، ومرحبًا يا صباح الحب، وأقسم ألا يعود إلى عتبة دارهم ظلام.

لربما ينكسر مرة أخرى، وربما لا... ولكن إليكم جميعًا:

لا تيأسوا ولا تقنطوا، وثقوا أن الوفاء بالعهد حتمًا سيأتي.

إليكم جميعًا (الموعد).

رسالة صديقي ورفيق الدرب

إلى علي عبد اللطيف
(قبل أن يمضي الخميس)،

أنا أدرك جيدًا أنك لست حزينًا ولست سعيدًا، وأنك في المرحلة الأصعب!
إنها المرحلة التي لا تشعر فيها بشيء أبدًا، مرحلة الوجع الذي يغلف كل شيء من حولك، حتى ضحكاتك تخرج متكسرة تحت وطأة هذا الوجع.

وأعلم أيضًا أنك قد أغلقت نافذة انتظارك، وأنك ما عدت ترى سوى زهور ميتة على شباكك.
إلا أن من وسائل الاطمئنان في هذا العالم، يا صديقي، أن هناك من يسعى بكل ما يملك لأن يكون بجانبك عندما تهزمك الأشياء، لا أن يكون ضمنها.

والأهم من هذا وذاك أن الله يعلم، يعلم كل شيء عن قلبك والكسر فيه، وذات رحمته سوف يجبر هذا الكسر فيك ويداوي وجع روحك.

إلى علي عبد اللطيف،
قبل أن ترسل رسالة الخميس الراتبة التي ينتظرها أصدقاؤك ومتابعوك:

أستحلفك بالذي بيني وبينك من ود ومحبة، قل لها في آخر رسالة:
"هل من موسمٍ خامسٍ بعد موسم رحيلك يبشرني بعودة عينيك؟"

قل لها يا صديقي، علّ هذا السؤال يبدد كل هذا الضجيج بداخلك وبداخلها، ويمحو ارتباكًا استوطن مآقي عينيك وعينيها.
كيف لرحيلك أن يكون بهذا الحجم؟
كيف له أن يكون بحجم كون يدير ظهره إلي؟

بحجم غرق في العدم، حين صار يأسرني اللا مكان.

قل لها أفتقد،

أفتقد آخر موطئ قدم لكِ، حين أخذتِ معكِ كل ما يخصكِ أنتِ وأحبه أنا.

وكأنكِ ما أتيتِ إلا لترحلي!
تركتِني أشرب من يديكِ، يا حبيبتي، كأسًا ما ظننتُ أن تسقيني إياه يومًا، وأنتِ التي أسميتني، أو تذكري!

أنتِ التي أدركت خبايا روحي، فصار يأسر مني شيئًا عند أطراف كل اشتياق لكِ.

أنتِ التي فهمتِ جيدًا أن حضوركِ فيَّ هو بداية غياب الآخرين وإلى الأبد.

إلا أنكِ تظلين، يا عزيزتي، سري الجميل.
تظلين سرًا بين الورق، يقرؤونكِ سطرًا، وأنتِ بداخلي رواية.

ولستُ أراكِ أجمل ما في الدنيا، لكني أراكِ دنيا كل ما فيها جميل.
ورغبةً تظل في أن ألمس وجهكِ تراودني دائمًا.

أن أدفن بين يديكِ، أن أسمع صوتكِ، أن أكون آخر من تغفو على كلماته.

قلها بصوت مرتفع:

"الخميس الذي لا تأتي فيه، لا تقيده رزنامات مهجتي."

تحياتي من بلاد صارت قبلة للسياح الأجانب، رغم ما قلته عنها آنذاك.

وضاح الصديق المكاشفي.

إلى وضاح الصديق المكاشفي

يجده بخير، أما النائبات فقصير أمدهن.

عزيزي وضاح،

ولكأنهن شرين من نفس المنبع، سيدي وحبيبي وضاح.
لا نأسى على ما فاتنا أو ذهب، بل نرجو عطف الله يشملنا، ورحمة منه، سلام وبركات.

إن ما وقر في نفوسنا لم يكن إلا طيب ذكر، وحلقة قرآن، ونار نستدفئ بها من جليد قلوبهن. وإذا كنا نرتع في محبة الناس، فسيكفيكهم الحب الذي نكنه إليك، سيدي.

أيًا وضاح،
إن لهذه الدنيا زخرفًا تشت معه أرواحنا، فنمسي خفافًا تلهج شكرًا لأقرب ونيس، يلمس فينا عصب الشوق، فيعزف عليه، ثم ما يلبث أن يكتشف سهولة الغناء لحسن تهذيبنا، فيجر منهم شنآن غفلتهم، فيظنونه ضعفًا، ويستمرؤون معه الذل، ولكن هيهات.

إليك صديقي وأخي،
وتوأم الروح، أكتب،
وأنا أراك قربي بين مطرقة الأشواق وسنديان الفراق. نسعى لنلملم شتات نفوسنا بعيدًا مع معركة مع الروح والقلب. ونحن نفترش أديم الأرض، ونلتحف أسباب السماء، وغيرنا يظنها فارهات السيارات التي نمتطيها، وفاخر الثياب التي نرتديها. قد أورثتنا النعيم المقيم، وما علموا كيف نحن خواء، نشتاق لراكوبة عم صديق، وملاح أم شعيفة معلق في مشلعيب.

حبيبي،
ولكأن تشابه الأحداث هو سفر الرؤيا، وإنجيل عيسى، وزبور داوود، وصحف إبراهيم وموسى، وقرآنًا تلوناه غسق الفجر. وما تبدل فينا شيء إلا عدم اكتراثنا لوصفهن عليه.

سيدي،
سيكون لنا ما نود ونرتجي، فما عهدنا أن نستكين أو نركن، وما الخنوع يومًا حادينا. فالركب إذ هو أسفلنا، سننتصر وسننجو، صديقي.

وليعلم الله أني لم أخنك بالغيب، أعلم أني أحبك في الله.

إلى وضاح الصديق المكاشفي،
يجدك بخير،

رحلة الشتاء والصيف،
والألم يعتصر ذواتنا كلما اقترب يوم ١٧، ونحن ننوي أن نزفك ببسمتك الوضاءة. كانت قلوبنا تنزف دمًا لفراقك، أبا الزهراء، إذ تيممت شطر البيت الحلال...
وبعد كل الاصطبار على تراب ليس فيه رائحة جرف سنجة، المشبع للرئتين فرحًا، وغبطة وسرورًا.
وبعد كل ضيم وحيف وقصور نلته، وأنت تنتقل بين أسراب الأحباب، يومًا إلى Ali Okod، سارِبًا أو غاديًا بليل من سوح Abdullatif Mohamed، والضحكات جزلى بك، سيدي...
لكم تمنيناه يومًا تصعد فيه إلى مرافئ البهجة والسرور، سيدي، ولكم اغتبطت دواخلنا وأنت تقفز فرحًا حين تنجز أمرًا يقربك إليها زلفى. ولكأننا نساق إلى الجنة زمرا...

سيدي،
ما انفكت تناجيهم ضمائرنا حتى كاد يقضي علينا الأسى، لولا تأسينا... وقد بانوا وبنا، فما ابتلت جوانحنا شوقًا ولا جفت مآقينا... ولدمع الرجال نواهل عنترة، وبيض الهند تقطر من دمانا. فوددنا تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرهن المتبسم...

حبيبي...
ونحن نظنه يومًا أو بعض يوم، وهي سنوات أنشزت فيها العظام وكسيت لحمًا، والطعام والشراب قد تسنه خصمًا من أعمارنا ولم تنل من روحنا غير وجعهن، وسينقضي...
آجلا كان فليكن، فنحن بين يدي الله سجدًا نبتغى جنة عرضها السموات والأرض، لا نعلم ميقات وصولنا إليها، ولكننا نصطبر. فما بالهن نسوة المدينة يألن جهدهن لنيلنا الحسرات، ولم يعلمن بأنها أيام وترحل ذكراهن عنا...
كن البسمة التي تقي الآخرين شرور الضياع، وسكون النفس وهداتها.
فقريبًا نبتسم ونعود نرفل في ذات العراقي ممزق الكتفين، نضحك ملء أشداقنا، نتكئ على هباب (قد)، ونرشف نفس كأس الشاي الذي تركنا خلفنا، نتجشأ ملاح الورق وبطيخة جرف ندية، قبعت تحت الزير زمانًا...

سيدي،
وغدًا هو الإشراق،
فيا شمس غدٍ أشرقي.

مخلصكم،
يخجلني اهتمام شخص لم أصنع له في يوم معروفًا،
ويؤلمني نكران شخص أشعلت له أصابع يدي شموعًا.

دومًا أخوك،
علي عبداللطيف

كتاب في قرطاس

إفروديت

وها أنا سيدتي معلق بين رمس ورمش، وخشيتي أن تسبل علي جفنين ما أروعهما فيمنعان رؤيتي لقمري المنير... وحين تسبلين طرفًا.. يضوع في المكان عطر ما زال يثير في ذات العشق، فأحلم برؤياك...
والرمس سيدتي يفد إليه شرفاء بلدتي، بعضهم يأتيه ملتحفًا أديم الأرض، وآخر أتاه من أسباب السماء.. وكليهما فاتنتي، يزود في بسالة عن أرضي وعرضي، ويذهب ليهبنا أملًا باللقاء....

محبوبتي

تقتات من ثباتي الهواجس كثيرًا هذه الأيام، فالروح معلقة بك هناك، والذين أهلكوا قبلنا من قرن مكنوا في الأرض والعشق ما لم نمكن، وأجريت الأنهار تحتهم، والسماء مدرارًا عليهم، وأهلكوا بذنوبهم، وقدرنا أن نهلك عشقًا وبعدًا ونوي...
وتوقي إليك هو مذ رأيتك، واللقيا تستحيل، وبين ذاك وهذا تستطيل ذات الحوائط، وما إليك من سبيل....

سيدتي

أيمم شطر أوراقِ كل حين، أراقب المداد والحروف، أرجوها وابتهل إليها أن تفيني ما أود قوله إليك....

وددت لو أنزلها إليك كتابًا في قرطاس تلمسينه بأيديك، فيقول الدين: "عشقوا إن هذا السحر..."

والعاشق سيدتي مثلي خارج دوائر التكوين والاعتياد، عليه أن يأتي بالشعر، والغاوون يتبعوننا أين نسير، وإلى أي بقعة بجسدك النبيل نحط رحالنا ونتكئ..

أستدفئ بك من زمهرير شقوتي، وتلفحني زفراتك حري، فأذوب تارة أخرى، وأسكب الرحيق عندك.. فيخرج من فمك الحرف الذي لمسته بيديك، وأعود من جديد...

انتظر اللقاء وأهيم...

مُعذبتي

من يسمعني وقد جعلت على قلوبهم أكنة، وفي آذانهم صممًا، وقيل وقرًا، وصباحي أنت كل يوم، ورسالتي تطوف ذات الهاتف، فتسبلين رمشك ثانية...

وتنظرين: أيأتي فارسي إلي، وخطوي مكبل؟ فلا أحد يسمعني...

والرمس يغيب كل فجر من عندنا الكثير، ولعلي أقصده بعد حين.....

سامية أنت سيدتي، وسموك هذا يريحني، فأنا أعشق الذراري ولا أحب الوهاد...

ضميني إليك سيدتي، فالوحدة قاسية وما عدت أطيق البقاء وحدي....

وما عدت ذلك الفتى، فالشيب يزحف ليزين لحيتي، وقلبي يسير في تضاد، تهرم الأجساد وتحيا القلوب عند رؤيتك سيدتي....

تعالي

معك هي حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين، وعندك أيضًا هو الرمس، وبرزخ بعده لا يعلم أحدنا ما أسلف أو نلتقي...
ولقد كنت أقول إن عز في الدنيا اللقاء، ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا،
ويعد بينكم، ما عدت آملًا إلا في لقاك غدًا...

فهل تأتين؟
وحين نلتقي سيدتي، وقد أخذت حروفي وأثرت بها نقعًا، فوسطن حروفي جمعًا كما الخيل تهرب منك إليك، فتتوسط القتال وصليل السيوف فوق رأسي، غفران ذنب وبقاء عهد ما قطعته كل خميس أن أكتب إليك منذ سنوات،
ولن تقطعني عنه وعنك نوازل الدنيا، ويحرمني فقط الفناء...

فإلى هجرة إليك عزمي، وعسى ألتقيك...

بدون عنوان

كيف يكون لك عنوان معبودتي وكل الأرجاء تسكنك وتقطنين جوانبها، وقد ظمئت روحي وحنت للتلاقي أو كما شدا بك كروان الفن...
كيف أسميك بعنوان سيدتي وأنا أكتب إليك كل خميس هنا، وأرسمك في لوحاتي، وأحدث الناس بك كل حين ولحظة، فأين عنوانك؟ هاهنا رسم أم حروف وكلام....

جميلتي

وعطرك قبل أن أراك يضوع في المكان لينبئني قدومك هو عنوان لك، فلا عبق يسكنني كما شذاك حبيبتي...
وعند أصابعي وهي تفرق خصلات شعرك وتنساب متدلية، معها هي عنوان، فليل شعرك والدجى سكناي....

وجيدتي...

عرجت روحي على عينيك في لحظة مقدارها مئات السنين مما يعدون، فسهم عنيك وخالًا يباعد بينها، وأنفك لا يقابله إلا صبٌ هائم يدني نظره لئلا تفضحه سوداواه، وعيناك عنوان لمن عرفك...
وعلى خدٍ ظعنت روحي وصبرت صبرًا جميلًا عساي أدرك شفة تعلوها (ظاهرة) أخرى...
أقبلها وأمر بها على قلبي فيصيبه فرق، ويكن موقع لثمي عنوان لك أيضًا.....

رفيعتي

بلا عنوان أجاذب الحروف لتكتب لك، وهي مُهل يشوي القلوب، وعهن يرسخ كجبال التاكا حين غشيتها خطاك، وحبيت عشانك كسلا...

صغيرتي

وحين ينبري ناهداك، يزودان أيهما يحتضن سلسال تدلي، أسائل نفسي: أهو عنوانك؟ فيبين ما بين الصدر والعجز رفيعًا، حتى لا أميز: أهناك وصل بينهما أم هنا جزءان، كل يسير وحده.... أمد يداي احتضنك وأخشى السراب عليهما...

سيدتي

والردف ناء بما حمل، وخطوك كالوحي الوجل ينزع قلوبًا سبحت بعشقك، فأدرك عنوانك، وساريتي بلنط أو رخام تقودني حيث يسير موكبك العظيم، فأتبعه أين سار، وحل إلى سماء خرطوم، شط إسكندرية، ضباب لندن أو غاب كندا...

عنواني أنت، وعيناك موطني ومآرب كثر أقضيها عندك،

بلا عنوان أنت، فالغياهب والمجهول يعلمان ما يجئ منك...

بلا عنوان أنت، فمن ابتغى عنوانك صرت أنت سكناه، مصطفين عن اليمين وعن الشمال مغرمين...

بلا عنوان كتاباتي فهي تصلك أينما أنت، فالنسيم وصلك، والسماء أرضك، والأرضين موطئ نعلك، وقلبي هزيم الرعد ذاته يعلن للعالمين كم يحبك.....

معشوقتي

أوما طال الفراق سيدتي بيني وبينك؟

أو ليس من أمل بلقياك قريبًا؟

فوالله إن جزعي قد بلغ مداه، وعجزي أيضًا...

وأنا أترقب وانتظر المستحيل.

بين قطارات الحياة يسير قطاري منهكًا منذ النشأة، يجاري قضبان ملتوية يريد لها اعتدالًا مرة واثنين وثلاثة وأربع، وما تمكن إلى ذلك سبيلًا.

فيا وهدتي،

كوني طوق النجاة الذي تطوقت به، ولذت إليه راجيًا أن أكمل مسيرتي معك. أعلم أنني أنهكت حياتك، وأرهقتك تجاهلًا وظلمًا حينا، وأحيانًا لا أجرؤ على رفع السماعة لأقول إليك "مساء الحب"، وأنا يعصف بي الشوق حينها إلى جنابك.

سيدتي،

لطالما قست عليَّ الدنيا كما الكثيرون، ولكني أظنهم لم يجدوا في أنفسهم شغف الوصول وحب الاستمرار، فما كانوا بين يدي أنثى تضوع عطرًا وهي لم تضعه عليها.

أنثى تنوء وجدًا وشغفًا، وهي الرقيقة التي لا تبوح.

أنثاي التي اتخذت من الصمت بيتًا وعرشًا مهيبًا لتحمل ذاتها إليه دوما، لتفر من الناس إلى سكونها، حتى لا تفضحها عيناها الملأى بالدموع وبالحنين.

حبيبتي،

وأنا أرافق عيناك أرى العزم يغتال الخوف فيَّ والجزع، وأنا بين يديك طفل غرير لا يدرك في هذه الدنيا دربًا يسير عليه إلا معك، فلا غيرك يؤانس وحشتي، ولا يسكن إليه فؤادي.

العشق أنت،
وهو ليس إلاك، فقد اختزلتِ، سيدتي، فيكِ كل النساء، فوا عجبي!

الرحمة أنت،
وأنا إذ أبتهل إلى ربي أن لا يكلني إلى نفسي طرفة عين، أسأله أن يكلني إليكِ أيضًا، ولو قليلا. فما كنه الحياة وسرها غير حضنك الدافئ، وموسي إذ أوصل أمر ربه إليهم أن يضربوه ببعضها. ليتك ضربتني ببعض منك لأقول لهم ما خبأت في دواخلي من وجد إليك، سيدتي، ولعادت الحياة تدب في جوانحي، لأهبك الهناءة وما استطعت إليه سبيلًا.

معشوقتي،
ما لم أستطع عليه صبرًا هو يوم قد دنا، واقتربت فيه هناءتنا ونحن في غفلة عنه معرضون، ثم ما لبثت أن تباعدت الخطى من غير ذنب جنيته أو خصام.

وأنا في ليلي هذا مولع بك، أجدد العهد أن لا طريق إلا معك، وإن طال السفر، وفتر العزم. فطريقنا محتوم ومسارنا مكتوب منذ الأزل.

فكوني النجمة،
وكوني حوراء روناء هيفاء دعجاء سمراء.
وحين التقيكِ قريبًا،
سأظل أحبكِ.

على فراش النطاسي

أبلغ (إفروديت) أني لست ناسيها ما عشت حتى تجيب النفس داعيها.
بانت فلا القلب يسلو من تذكرها يومًا، ولا نحن في أمر نلاقيها.
وقالوا: لو تشاء سلوت عنها، فقلتُ لهم: فإني لا أشاء،
وكيف وحبها علِقٌ بقلبي كما علِقت بأرشيَّةٍ دلاء؟
لها حب تنشأ في فؤادي، فليس له - وإن زُجِرَ – انتهاء.
وعاذلة تقطعني ملامًا، وفي زجر العواذل لي بلاء.
فؤادي بين أضلاعي غريبٌ، نادي من يحب فلا يجيب.
أحاط به البلاء، فكل يوم تقارعه الصبابة والنحيب.
لقد جلب البلاء على قلبي، فقلبي مذ علمت له جلوب.
فإن تكن القلوب مثال قلبي، فلا كانت إذًا تلك القلوب.

وقلبي بين أناملها يهرع إليها كل حين، فلا توقف عن النبض ليعطيني دفقات الحياة، ولا استقر لديها ليهبني الموت بين يديها.

معشوقتي،
وها هو الخميس يمضي، والحبيب سكن ببلدة، وسكنتُ أخرى، وقطعت المواثيق والعهود. روحي إلى المعشوق تهفو وجسدي يحن.
حتى إذا التقينا، وفلجت الفخاذ، رمتني بسهم أصاب الفؤاد،
ووردت الحب غمرًا وثمادًا، فاثقل الرحم النضيد بنطفة، بقيت لكهولتنا مزاد.

محبوبتي،
والألم يعصرني فيكسرني، وسر الحياة أعظم ما يصاب به السقام فيقتلني، ولا زلت حيًا. والنطاسي ليس بمبرئي إذ يتعطف عليَّ ليواسي جروحًا آثرت سكناها بين جوانحي.

إفروديت،
وأيم الله، لقد فتنت، وما جزعت، إذ الجهبذ لا يرتاع أو يلتاع أو ينحني، وقلت ولم أرتج في حديث، لأنك دومًا حديثي بين جلاسي.
وكل الرجاء حين تذوبين بين أذرعي، وتستوقدين ناري، فتسري تلك الرغبة التي تعرفين بين أضلعي، وتستعر جلودنا، فيأتيها ماء يبرد جذوة ولعها وشهوتها. يا واقفة بين جرح السحاب وبين شهقة الأرض البكر، ما كان ده ريد، كان احتمال تغيير قوانين شهقتك ما بين (حديثنا) (ولحظة الفعل الحقيقي). كل هذا ولا زلت أعشقك وأحبك...

حبيبتي،
وأنا على فراش أبيض أستشفي من أشواقي إليك، أجد البهاء في ذكراك غريبًا. فإن يكون الداء والدواء بك، لكأنه جبريل يسأل فيجيب: أمنك وإليك، سيدي يا رسول الله...
نعم حبيبتاه، هو منك وإليك علتي وشفائي،
معللتي بالوصل.
أمن تذكر جيران بذي سلم، مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم؟
ومنكما تعلمت البيان، فدرجت أن أناجيك جهرًا، والقلب والروح إليك يسجدان.
ربي، إني أحب أن آتيك وأنت راضٍ عني، فأسكن روحي بها.

مضرجًا بدماء عشقي لها.

ولما يأتي حفيف صوتك مشبعًا بتلكم الضحكة التي أعشق، يزداد وجيب قلبي، ويكاد يخرج ليراه الملأ.

حياتي،
أهيم بك، ولا تزر وازرة وزر جسدي، وزر روحي، فهي أشد هيامًا. ثم إلى القلب مرجعنا، فينبئنا بخفقاته حين يخرج من بين الصدور.
فيكشف عنا ضر وحشة إليك، فيخولنا نعمة لقاك بعد أن دعوناه منيبين، أن يجمعنا بك، فيخولنا نعمة منه ورضا...

معشوقتي،
أفمن هو قانت آناء الليل، يلهج بثناء للخالق، إن وهبك؟
ساجدًا في محراب عشقك، قائمًا يحذر مغبة وآخرة الفراق، وراجيا رحمة من ربه وعطفًا منك ولينًا، فهل يستوون عشقًا، سيدتي...؟

سيدتي،
سلكت لك في مسارب نفسي ينابيع ماء يخرج منها أنفاس حري تذيب قلبي المضني بهواك، وينبت منها زرعًا مختلفًا ألوانه:
حبًا،
لقاءً،
عشقًا،
صبًا.

ثم يهيج فتراه مصفرًا لبعدك.
فيا معشوقتي، رحمة بهذا القلب المعني.
هي نظرة تنسي الوقار، إذ أطوف بين ثنيات الجمال، خدا وشفاهًا، وعينان تلصفان حدة وذكاء.

دعيني،
فأنا قد اعتزمت الترحال بين وهادك، أقبل ذا الجدار وذا الجدار، وما حب الديار شغفًا قلبي، ولكن حب من سكن الديار.

عهدي
أن أكتب إليكِ كل خميس في سفر العشق، كلمات تقشعر بها قلوبٌ، أعشق ضياءك، فتلين قلوب بذكر حبيبها.
وإني لأذكركِ حتى أكاد أنسى من يكن من هن حولي، فكلهن أنت.
وإني إذ أخرج ممتلئًا من ذكراك، يخيل إليَّ أنهم يغازلونني في الطرقات.
فلربما شاهدوك على عينيَّ أو جبيني عليه رسمك والحناء.

محبوبتي،
وسيق قلبي إليك محفوفًا بدعوات الأحباب الذين يخافون يومًا يقفون إليك ليسألوا عن ألمك، ويهابون مثولهم عندك.
فغرس الهيبة فيك قد فاق مختار.
وسأظل إليك أهفو، وأنادي، وأعشق حتى أضم جبينك بين يديَّ، والثم كالصبح المنير فاك.
وحين ذلك الحين،
كوني بخير.

حسبنا الشوق والتوق ونعم العذاب

والليالي تمر معشوقتي، وأنا اشتاق حفيف ثيابك حين تكشفين سترك عند مخدعي، فيغيض ماء وجهي حين أبتدرك لثمًا....
فإذا قضيت مناسك التبتل لدي محراب جسدك، أفَضْتُ إلى حيث يذهب العاشق الوله، فركنتُ إلى عينيكِ، أتزوَّدُ منها، واحتضنتُ خديكِ إلى صدري لننظر السقف مليًا كل ليلة، ونرى ما نحن فاعلون في غد.

حبيبتي
وألم الروح ينتقل إلى الجسد، وأنا أشكوك بثي وحزني وسقمي، وأراكِ لا تصدقين مآل السوء الذي شارفت عليه بدونك....
وأيوب إذ مسَّه الضر فصبر، أن يكون لي منه قيض، فذاك ما كنت أجهله، ولكني صبرتُ وما استطاع جسدي صبرًا، فناديتُ ربي: "أنّي وهن مني الجسد، رب إن لم يكن بك عليَّ غضب، فلا أبالي، فإلى من تكلني..."

معشوقتي
هو ليس بهينٍ أن أصبر على فراق عينيكِ التي أعشق، ففيهما ولدتُ، وبهما عشقتُ، ومنهما سعدتُ وجزلتُ. فخذي الأمر بقوة، وتعالي إلى حضنكِ الدفيء، وحينها سلامٌ عليكِ يوم تأتين وحين تصبحين وفي المساء....

سيدة العشق
إني اتخذتُ من دونهن حجابًا، وما بارحتُ روحي مكانها الذي تركته عليها، وما ضعفتُ وما لنتُ، ولقد همّت نفسي حينا، ولكنها وجدت منكِ خيالًا

فِي كأس شربِي، فكفرتُ بأنعمِ ليست منكِ سيدتِي، وهو عشقِي إليكِ، حملته فِي جوارحِي، وانتبذتُ به مكانًا قصيًا لئلا يولد إلا بين يديكِ، ولئلا يهدر فيكن نِسيًا منسيًا.
وهززتُ بجذع الهوى، علّه يساقط عليكِ ذكري مني، فيحنُّ فؤادك يومًا سيدتي....

يا إفروديت
هبيني مما خلقتِ له، واجعلِي لِي مسكنًا عند بيتك الحلال، فإذا رغبتُ عنك يومًا ولم أجد إلا لديك، فارجميني، واهجريني ما شئتِ سيدتي.

يا هيرا

ناديني من جانب الوادي، فأنا قربكِ، ولكني أتقلب بين جحيم السقم وخوف الضياع، وفقد الرجل فِي شخصي.

هيرا أو إفروديت، ما عدتُ أدري أيهما تشبهكِ، فثنتاهما تتنافسان ليكن خدمًا لديكِ سيدتي. وأنا إذ يخشونكِ كلهم، لا أخشاكِ، لأني أعشقكِ، والعاشق يظل.....
عذرًا إن كتبتُ إليكِ اليوم طرفًا من نهار الخميس، فبعد قليلِ أغيب عن الدنيا والنطاس يجبرني لكيلا أشعر الألم، وهو لا يدري حين يسألني عنكِ أني سعيد بهذا الألم.
وهكذا يمضي الخميس.

ومضى عهد

إفروديت

معذبتي وعشقي الوحيد، والروح تقترب منكِ والجسد أجدني أتلظى بنيران الوله والشوق، ولكأن قلبي صار بكل مكان في جسدي، فكله ينبض شوقًا إليكِ، حتى يحسبني الناظر إليَّ أهتز في مسيري وسكوني، وأرجو أن يهتز بكِ فراشي.

حبيبتي

هو تنزيل من رب العرش العظيم على قلبي، فلست أملكه، فقسمي فيما أملك أن أسكت عنكِ حين الصدود، ولكن ما هو ليس بملكي لا أجد إليه طريقًا غير عشقكِ، فأعذري صبوتي وجهالتي بعض حين.

سيدتي

وليل الخميس يدلف بين جوانحي، يجئ فؤادي من أقصى الروح يسعى، ويقول: "يا علي اتبع هواك، اتبع من لا بسالك أجرًا، وهو لك من الناصحين".

وإذا الطمأنينة تسكنني لذكراكِ سيدتي، فكيف أتخذ من دونكِ خليلة؟ إن يردن بي كل الخير لا تغني عني محبتهم ووادهم، ولا ينقذون.... روحي من الغوص عميقًا لديكِ، فروحي وجسدي وكلي وبعض مني غرق في محيط روحكِ الجمال وجسدكِ الخيال....

محبرتي

سيدة العشق إفروديت، دعيني أغمس قلمي لديكِ، عساها تنطق الحروف، فتهمس لديكِ أن عاشقًا ببابكم ينادي.
فهل من مجيب؟

مودتي ورجائي

والسفر إليكِ محطة أقطعها بكل رضا، فقد عاهدتكِ هاهنا على صفحتي ألا كلل أو ملل حتى الرسو على شاطئيكِ.
وحتى ندلف وحاج أحمد إلى ديارِكِ الضياء لنرتوي من شهدكِ المذاب.

وحتى لقاكِ معشوقتي أظل هاهنا، فتعالي.

وسار بأركان العقيش مقرنصًا.

وأنا بواديك المقدس، أخلع نعلي، وأسعى بين نهديكِ عسى أن اصطلي بقبس منكِ، أو أجد السر الذي بين نهديكِ مختبأ.

إفروديت

وسلاف لماك حين سكبته، أدركني الهدهد إذ أتاني منكِ بنبأ يقين، ما حسبتُ أن يكون عهدي إليكِ كل خميسٍ، يكاد ينقضي ونحن في شكوانا سيدتي، يكاد يقضي علينا الأسى، لولا تآسينا.

وتنهيدةٌ أحاطت بما لم أحط به علمًا، وخلجات منكِ هتفت أن ادخلوا وادي النمل، لا يحطمنكم هو وجنوده، وهم في نشوتهم لا يشعرون....

حبيبتي

وسري العشق فيكِ يسكب ما سكن فينا وجدًا وحبًا ودماءً زاكيةً تبحث عن وطن مثلنا، ربحت البيع،

ففاضت تعلن خطبًا وفشلًا وتيهًا وكذبًا.

وعهدنا إليهم أن نقيم من صلينا من ينتفع به الناس.

وتسع آياتٍ أتى موسى بها فرعون، وتسعة رهطٍ كانوا في المدينة يفسدون في الأرض، وتسع أبوابٍ فتحت مني إليكِ.

شغف بكِ لا ينتهي،

عشق إليكِ لن ينقضي.

فهل تدلفين؟

معذبتي

لما تعطف ساعدي، يجول بنهد المراكل، لم تزل تواطئُ هاماتِ الرجال حوافره. أشتاقكِ سيدتي وأنا امتطي خيول الكلام، أرتجي أن أركب صهوة الأفعال، عساي أكفر بها خطأ الأيام.

سيدتي

وقد كنتُ أظن يومًا سيأتي غير بعيد، وما وهن العظم مني، وقد اشتعل الرأس شيبًا.

وقد ألفيتكِ نارًا، بوركتِ وبورك من حولها، هكذا نُوديتِ، وألقيتُ عصاي، فإذا هي تهتز، فحسبتها جانًا، فوليتُ مدبرًا، وما أدركتُ أنه سحركِ.

ولم أُعقِب، وارتجَّ عليَّ، وحين هبط عليَّ وحيكِ، كُتب عليَّ أن أسعى بين ساقيكِ مناديًا: "ألا مساس!"

وجيدتي

وأظل مدعشرًا بالقحطلين، تحشرفت، شرافتاه فخرٌ كالحرباصلى،
والهيكذوب الهيكذوب تهيهع، وخر كالعنكبوت المنفل،
وتشحفط الفشحاط في شحط الحفا، وتبعبر ال بعبار في البعبعبرى،
تدفق في ال بطحاء، بعد تبهطل، وقعقع في ال بيداء غير مزركل.
وسار بأركان العقيش مقرنصًا،
ودخلت في ليلين فرعك والدجي و.....

روح الأنام

وبكاني من جمع الحروف ثمان وعشرون حرفًا، وسكبت من معاجم الصحاح مرابضها، واطنبتُ على خصال ما كن إلا فيكِ ولم أجدهن بين نساء العالمين.

معشوقتي

سأظل الحنين إليكِ، ولي عودة إليكِ صباح غدٍ، لأحكيكِ كيف يمضي الخميس.

آخر الأنفاس أنت

في آخر ساعات ليلتي هذه، رميت القلم عشرات المرات عازفًا عن الكتابة، لا إليك ولكنني سقت الضاد إليك، علوًا وهبوطًا، وأرجزت القوافي عند خاصرتك، معشوقتي، وما تدللت إلى أعطاف واردان اشتاق إليها...

معللتي بالوصل
إفروديت

أكثرُ ما يعذّبني في اللغة، أنها لا تكفيكِ. وأكثرُ ما يضايقني في الكتابة، أنها لا تكتبكِ. أنتِ امرأةٌ صعبة، كلماتي تلهثُ كالخيول على مرتفعاتك، ومفرداتي لا تكفي لاجتياز مسافاتك الضوئية. معكِ لا توجدُ مشكلة، إنَّ مشكلتي هي مع الأبجدية، مع ثمانٍ وعشرين حرفًا، لا تكفيني لتغطية بوصة واحدةٍ من مساحات أنوثتك.

معشوقتي
وددتُ ألا أخرج حرفًا اليوم، لمسافات بين نهديك والجيد، قد صارت بعدًا شاسعًا كقارة أم، تسطع حروفي معها مسيرًا، وإليها اشتهاء يعذب داخلي فيقتات الشوق والوله من روح تسكن بين مقلتيك.

معذبتي
إني وهن العظم مني، واشتعل الجسد لهفًا إليك، ومذ حملته فانتبذت به مكانًا قصيًا...

وقفتُ أنادي وأهتف أن عودي، فالجوى بالصدر ما عاد له احتمال.

سيدتي

أو صرتِ ممن لا يرقبون في حبيب يعشقك إلا ولا ذمة، وأنا الترقب لا ألوي على شيء إلاكِ.

وكيف أبتغي من وراءكِ من هن دونك إذا كنتِ من العادين؟

عذرًا محبوبتي، فالقادم ينهب الفضاء، يغير التربة والبذور والحليب والاثداء، ويسقط

المرحلة المسطحة، ويستعيد في زماننا العقيم نضرة الأشياء.

معذرة، فإننا غثاء، وإننا في متحف التاريخ مومياء ترمقنا عيونهم، ويهمسون كلما مروا بنا: بقية باقية من أمة الصحراء.

والضاد بين واحات جسدك تسوح عساها تروي ظمأ مشتاق إليكِ.

حبيبتي

سأظل ساعيًا بين صفا عينيك ومروة تثنيكِ حتى أرث فردوس جسدك وتقر نطفتي في قرار مكين، لنخرج صنوه بأمره تعالى.

انتظركِ سيدتي.

أبو الدرداق مختصر الحديث

وحين شغاف الروح تعلق بالثريا، تجدك مسامحًا حد الذل.
سيدتي، والرواية تحكي عن أبو الدرداق، إذ خطب ود القمر، فقالت القمرة والعهدة على رواية الحبوبات، قالت لأبو الدرداق: "كيف أعيش معك على الأرض وأنزل من عليائي، والأرض تكسوها القذارات؟" فعاهدها أبو الدرداق مذ ذاك الزمان أن ينظف لها الأرض.

إفروديت

ومنذ ذلك الوقت، وأبو الدرداق لا زال يسعى، فيأخذ فضلات الناس والأوساخ، ليرميها بعيدًا ليجعل للقمر، معشوقه، مكانًا نظيفًا يسكنه.
ولا زال العشم لم ينتهِ، أن يومًا ستكون أرض القمر بلا أوساخ.

معشوقتي

والعهد بيننا أن أكون لكِ يومًا كما تتمنين، لم أركن ولن أتوقف، سيدتي، لأجعل لقمري أرضًا.

قمري

سيكون يومًا ما لكِ ما أردتِ مني، وأعلم أن الصبر ينفذ، ولكن عزيمة أبو الدرداق تسعفني، فتأتيني حيتان قوتي شرعًا سبتًا واحدًا، وكل يوم لن يكون لي فيها أن أضرب ببقية من بقرة صفراء فاقع لونها، تسر الناظرين، تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها، لأنطق وأقول: "من قتلني وذبحني في هواه؟"
سأنطق حروف اسمكِ يومًا على الملا، حبيبتي.
ويظل العهد بيني وذاتي:
أن أعشقكِ ما حييت.

وحشة وليل طويل

وأنتِ تقضين النهار وحيدة، يكاد يقضي علينا الأسى لولا تأسينا.
فيأتي ليل الوحشة بعيدًا عن الدفء في شواطئ نهديك وسهول ما بين جيدك وهضاب المأكمة، يأتي لاستمع وجيف قلبي وصوت أنفاسي، حرّي يذيب جليد كل شيء إلا أنتِ، ويظل يحن جسدي المنحول إليكِ، عزيزتي...

إفروديت

تزور النساء كزائرة المتنبي التي أرجز فيها:
(وزائرتي كان بها حياء، فليس تزور إلا في الظلام.
بذلت لها المطارف والحشايا، فعافتها وباتت في عظامي.)
حين تصل زائرتك كل شهر، يحن الجسد، وترق الروح، ويهفو الفؤاد للمسات حب وود وحنان، وكلمة شغوفة ويدًا تمسح ظهرًا تخرج كرياته وشعيراته في غير جزل وسرور، أسيفة على ما لم يلقح ذينك، المواقيت هي مواقيت العشق والتحنان.
بيد أنكِ تسمعين نورًا، وهي تصدح الحق وقتها، فترفقي، فالألم شك شكة فينا لا تبارح أو تزول...

سيدتي

وليلك بعيدة هو الألم، معشوقتي، والسياب يكتب: "ليتَ الليالِي تُنسي قلبِي الألمَا، والنجم يُنبئها عني بما علمَا. لعينيكِ، يا ليل، سرٌّ لا تبوحُ به، أغمضتْ عنه عيون الناس، فانكتما."

وعيون الناس أضحت ترقب الشكوى كل خميس، والليل يفضِي إلى السكون، والوحشة تناديك.

حبيبتي

وإذا فرق بينا البحر، فأنجانا ولم نسم سوء العذاب، ولم تستحي أجسادنا، فغرقنا في نعيم يحضك أن تقول فيها: "لا مساس."

يا أيها الجهبذ، كن الداعي لانتقال بين روح وجسد، وأعكف على التبتل عند محرابها، وواعدها أربعين ليلة، ولا تتخذ من عجل السامري ملاذًا ليكون لك منها مساس.

حبيبتي

والجسد يئن في خميسي هذا، أدعو قلبي ليستريح من بين حكمت به زائرة المتنبي.

والجسد ملتاع ومنهك ولهفٌ به إليكِ.

متعب فدعيني أرتاح لديك

(ابن زيدون والمحجوب)

أميرتي،

جازَيتَني عن تمادي الوصل هجرانًا
وعن تمادي الأسى والشوق سلوانًا
بالله هل كان قتلي في الهوى خطًا
أم جِئته عمدًا ظلمًا وعدوانًا
عهدي كعهديك ما الدنيا تغيّره
وإن تغيّر منك العهد ألوانًا
ما صحَّ ودي إلا اعتلَّ وودك لي
ولا أطعتُك إلا زدتَ عصيانًا
يا ألين الناس أعطافًا وأفتنهم
لحظًا وأعطر أنفاسًا وأردانًا
حسَّنتَ خلقًا فأحسن لا تسؤ خلقًا
ما خير ذو الحسن إن لم يولِ إحسانًا

كم هي شغوفة عيناي وهي معلقة بذلك اللؤلؤ، وهو مبعثر على جسدك. حبات الماء المنسكب عليك تثير في شجونًا كنت أكتمها.

عفا واذكر "كسلا" ولهانا، فهنالك كان لي حبيب يزين التاج مفرقَه والعقد جال على النهدين ظمآنا.
لم ينسني البعد أعطافًا مرنحةً ولا
حبيبًا بخمر الدَّل نشوانًا.
فما تغرَّب إلا عن ديارهم والقلب ظلَّ بذاك العشق ولهانا.

سيدتي
والبعد عنك كما القرب لهف وتوق، فللقدود آباء يفضح البَانا.
وذات الرجفة تعتريني مع ذكراك، أو إذا اختلفت إليك وضاجعت عيناي جسدك الملفوف.

معشوقتي
إفروديت،

كم أشتاق إليك وجيدتي، وتيار رعشة يسري مع شرك نصبته مواشطك. ولولا الحنة بيني وبينها كنت ودَّرتَ (يا مولاي) وعيناي ترقبان حبة الماء تمشي من الجيد لتحط على كتفيك راحلة إلى ظهرك حتى تختفي هناك...

حبيبتي
وحوادث الدنيا تسير بلا انقطاع، فتسلمنا المنون حينًا والرهق يعصف بنا، تمور دواخلنا بما تنوء عن حمله العصبة أولي القوة. وليتها كانت مفاتيح قارون، كنوزًا لا جبال أيوب صبرًا وحزنًا يعتمل الفؤاد. ولعل رحمة ربي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم.

معللتي بالوصل

مرهق أنا، فدعي الماء المنسكب عليك ينهمر، ودعيني أعبث بشعرك المبتل وأعود طفلًا دون العامين جائعًا شرهًا، يظنك أمه.
وذات البلال يصيبني معك فيغسل عني حزن الأيام وفراقك، وتبتهج روحي. فلم أستطع عليه صبرًا، وكيف لي به ولم أحط به خبرًا حتى رأيت الماء يبلل أعطافًا وأردانًا.

سيدتي
وليل التمني رجز ووداد، وحديث شفاهك يبلل روحي، فاقبلي عليك.
عذرًا روحي، فما بيدي حيلة، هذا الرهق والتعب البادي على روحي وجسدي هي ازهاق لنفس تعشق وسحر وجمال...

وأنا أوقد نارًا وشموعًا، فتعالي...

لأنك مختلف

وحين ننطقها تعني فينا قيمة نشعرها عند خروج الكلمة من شفاه أي منا: "أنت مختلف".

إفروديت
نعم، أنت مختلفة، لا تشبهين بني جلدتك من الإناث.
تختلفين وصفًا وفعلًا وقولًا، والحديث معك مختلف، يأتي عذبًا، كشفاهك سلسًا كما يمشي الوحي الوجل...

سيدتي
حينما نزل آدم من الجنة إذ دلاهما بغرور إبليس، كانت (إقلما) مختلفة، فقتل الأخ أخاه، وهكذا بعث الله غرابًا يبحث في الأرض ليواري سوءة أخيه. وبدأ مشوار التعلم بالمشاهدة لنا كإنس. فمنذ بدء الخليقة، الجميع يعرف المختلف، وأنت...

معشوقتي
ونحن نتعلم من حولنا، ومن مشاهدات بدأت بغراب، وتنامت. صرنا نعلم أن كل مختلف يشدنا، وأنت مختلفة تمامًا.
تمشين الهوينى، تنامين في هدوء وسكينة، تلهثين شوقًا، وتغضبين عميقًا، سيدتي.

أعشق فيك التثني، وثقلًا تنوء بحمله عصبة قارون...

فيا حبيبتي، عطفًا منك على من أضناه التعب والهجر، فأنا أشتاقك.

معشوقتي
منذ ليل البارحة، وزخات المطر لا تتوقف، أيقنت أن الخميس مختلف.
فميازيب السماء ما وهبتنا الهزيم في هذا الميقات قبلًا، فكانت مختلفة.
فتشبهت بك والقمر، إذ يكون في رابع عشر مختلفًا، فهو يرنو إليك، عسى يكون مثلك مختلفًا.
فيا قمري، طال الشوق علي، دوبيت ليك وزمرة أهل البيت...

إفروديت
فليكن خميسي هذا قصيرًا في سرده حتى يشبهك ويكون (مختلفًا).

ولأني أعشق مختلفًا، فأنا مثلك.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها...

إفروديت
عبر الأثير أكتب حروفًا، لست هواي، وأرسلها، وصوتك الشغوف يلامس أذناي.
بعد الرحيل المر، تتحرك عاطفتي وتجشّ من جديد...

معشوقتي
فإذا وقفت أمام حسنك صامتا، فالصمت في حرم الجمال جمال.
إني لأرفض أن أكون مهرجًا قزمًا على كلماته يحتال.
كلماتنا في الحب تقتل حبنا، إن الحروف تموت حين تقال.
الحب ليس رواية شرقية، بختامها يتزوج الأبطال.
لكنه الإبحار دون سفينة، وشعورنا أن الوصول محال.
هو أن تظل على الأصابع رعشة، وعلى الشفاه المطبقات سؤال.

هو ذات الشعور الذي التمسته واقعًا، حين غيابك، فإذا الأيام حالكات كالحات.
يدنين عليَّ من جلابيبهن قسوة، ويضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من أساور، تقيدني إليك وإلى الضنك.

معشوقتي

والخميس يأتي ليعيدني إلى ذات الدرب. أن أجهد ذاتي إليك، وأن أمتطي ذات الخيل ركضًا في مضمارك، عسى أجد فيه قبسًا أو نارًا نصطلي بها من زمهرير يصيب الروح والجسد. فمكانك شاغر، والخواء ينتج الفضاء الواسع، لتتحرك ريح شوقي، فتعود من سبأ بنبأ غير يقين، وثمة برد في الأرجاء...

الرائعة حد الثمالة

أود احتساء كوب قهوتي من يديك مرة أخرى، وستظل أجمل أيامي بواكيرها.

تغدين فيها كوب قهوتي المرة ذات صباح، فتسعد لحظاتي ويومي. حتى أزيد شرفًا وتيها، وتكاد أخمصي تطأ الثريا.

وحين ذلك الحين،

سأنتظر...

عهد الحب

إلى أم هاشم

يا هاشم، خذ الحب بقوة، وأوتِ اللطف صبيًا. لكم راعني ملاذات الحب الممتلئة حتى ثمالة الآخرين، وهي تفتر عن ثغر يملؤك عشقًا، حين تنادي حبًا أقام فيها تسعة أشهر وعشرًا.

أيا هاشم، إن أخوتك ينظرونك...

لن أحدثكم عن كفاحها وعطفها. يكفي أن تسدلوا ستار هذه الحروف لتنظروا ألقها وبسمتها. لله درك، زوجة أخي وأم أخي، ويا عجبي...

وهو ملاذنا عند المحن. بصوته الدافئ يخرج ما بنا من غضب وضيم وحزن. يحتوي شكوانا وأنين الصدور، فنهرع إليه كل حين، وهو الصغير بيننا.

بيد أن الحب الذي ارتويت منه ورضع ثدي الحنان كفله أن يكون فينا ما كان فيه حنانًا من لدنه إليه، ولم يك جبارًا عصيًا. وسلام عليه حيًا ويوم يبعث حيًا...

أمي...

كبرت شقوتي وزاد ضلالي، وأنا أبحث أمي بين نساء العالمين، وضيئة أنتِ تلقفت حاجتنا إلى أم، فصنعت منا، وقد وخط الشيب رأسنا، جعلتنا نركض غرا ميامينا، أطفالًا نبكي عندك مشاكسات الدنيا وعنتها.

ملاذنا جميعًا

تنادت مفردات الصحاح لتكتب إليك وعنك، وما استطاعت أن تفيك ما فيك، فحملت أحرفي وانتبذت بها مكانًا قصيًا. فجاءها المخاض على حافة الورق، وقالت: يا ليتني مت قبل أن أكون مقروءة، أفضح سر الأم الأعظم.

فراودتها: ألا تحزني يا أحرفي، وهزي إليك بجسد الضاد، يساقط عليك كلما وفيا...

والحب إليه ولنا ترقب إمساك في يوم صوم، لا تميز فيه الخيط الأبيض (هاشم) والخيط الأسود من فجر عطفها علينا.

واللهفة سر قدستِ به حين سؤالك كل حين: "كيف حالكم طيبين؟" تخرج منك ملأة، فإذ رأينا بشرًا بعدك، ننذر عن الكلمات صومًا فلا نكلم بعدك إنسيا...

وأذكر في الكتاب هذا أبا هاشم أنه كان إلى جانب الطور، وقرب نجيًا من بحر أجي يمور عطفًا وعشقًا وحبًا واهتمامًا ورعاية وسؤالًا. رحمته أوسع من شظف التحقق فيه. فهناءة لكم...

وأنا الذي أدمنت التسكع على محراب وجنتي إفروديت معشوقتي. أعجز في بوحي إليها فلا يبين ضعف فيني ولا تلين قناة مني لديها. فتشعر الضياع في حروفي، فتهدم لأني أردتها قوية صامدة، وعشقي لها يسكت فيني كل رغبة في الشكوى.

فيكون داركم ملاذي، وحضنكم أماني. فدوركم شيّدت حبًا وأمانًا. يكفي أن تراهم، فيعمد إليك جبل اليقين ليسكنك، فتقوى على الأيام والظروف...

معشوقتي إفروديت

استأذن ساحتك البتول هذه لأكتب عن أم هاشم وهاشم، أحبة الزمان ومعشوقيه. فالأم والابن، سيدتي، يهيمان عشقًا، فلا ترين من هي الأم ومن الابن.

استودعكم حروفي، وأيمم شطر الأجواء مرتحلًا، عسى يستقر مقامي يومًا فأهنأ بعد طول عذاب.

والروح تأنس من يلاطفها.

وهيامي بك لم يأتِ من وجودية الحياة، فآدم حينما كان في الجنة نهر وخمر وما اشتهت نفسه، حنَّ إليك حواء. فكيف ونحن في كبد الحياة لا نحتاجك ظلًا نحتمي به من هجير وقيظ الغربة والليل والشجن...

سيدتي

وأتيتك صدقاتك نحلة، فطاب لي منك ما التهمته فيك، هنيئًا مريئًا. وذاب جسدي المنهك عند وهادك. وما اشتهيت إلا عودة إليك إفروديت...

معشوقتي

وأنا بين يديكِ أحس طفولتي، وانسكب كماء تكاد تسمع خريره بعيد الألف الأميال كما هنا والخرطوم. وورثتك لا كرها ولم أعضل، فالروح تأنس من يلاطفها وبالمعروف عشرتنا. وهسي بعد هذا أن يجعل الله فيك خيرًا كثيرًا...

ملهمتي

أعتذر عن الكتابة إليك هذا الخميس، فالنفس ملئة بما يؤرقها ويقض مضجعها. وتالله إني لاشتاقك سيدتي.

مع خالص حبي

إفروديت، مركز الكون.

وحين آدم بالجنان يطوف بها، وأنهار من لبن غير آسن، وخمر وما اشتهت الأنفس بين يديه، إذ نادى ربه أن الوحشة تكاد تعصف بي، فكانت (إفروديت) حواء لتذهب وحشته، ويستأنس بها قولًا هينًا لينا. حتى دلاهما بغرور إبليس، وحرك الضعف البشري فيهما: "إن ما منعكما ربكما أن تأكلا من هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين". الغريزة خوف الموت فطرة، وكلنا يهرب منه، والملك رغبة كل منا.
أراد إبليس أن يعصيا أمر ربهما ترغيبًا بالشهوات، وأراد ربي أن يجعل لآدم أنيسًا من وحشته، فأتيت أنتِ إفروديت.

حبيبتي
ولأن سر وجودك إذهاب الوحشة وبعث السرور إلى قلبي، وبث السكينة والاستقرار حين تكونين متكًا أولذ به حين الإخفاق سيدتي.
وأنتِ معيني على النجاح كل وقت وحين، وأنتِ بقربي حتى إذ لامستك تيممت صعيدًا طيبًا من عبقك، واغتسلت عند حوضك الكريم تطهرًا...

معشوقتي
الروح إليك تهفو وتنادي، فكوني قوامة بالقسط، ولا يجرمنك شنآن قوم أن تعدلي. وعد الله الذين آمنوا وعملوا ما خلقهم له أجرًا عظيمًا. وأنتِ أهل له، استحقته عيناكِ حين احتوتني بحب لم أنظر مثيله، وكتب لكِ حين اصطبرت فنلتِ ونلتقي.

سيدتي

كلنا آدم، نجوب الفيافي والوهاد بحثًا عنك، نكد في الأرض سعيًا إليك، مسكنًا موفورًا بريح طيب تضوع به ثنياتك وجسدك الملفوف.

كلنا معشوقتي يبحث عن استقرار معك لا بدونك. فبما نقضهم ميثاقك، لُعنوا، وجعلت قلوبهم قاسية. يحرفون الكلم عن مواضعه فيكذبون. لا خوفًا منكِ إفروديت، بل سعيًا لكسب ودادك، كلهم أبناء ذاك الرجل آدم، وأنا منهم.

أعشق التبتل في محراب عينيكِ، وليهدِ الله قلبي لاتباع رضوانك، فأسلك سبل السلام ويخرجني من ضيق الدروب إلى اتساعها. وأنتِ تدسين يدك على ساعدي، فأشعر الأمان، وأشد ساعدي على المجداف، وأحلف بكِ أني أغير سكة التيار، وأقول: يا إفروديت، يا أغرق...

إفروديت

وقد تلي علينا نبأ ابني آدم، إذ قربا قربانًا، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. قال: "لأقتلنك". قال: "إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إلي يدك لتقتلني، ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك. إني أخاف الله رب العالمين."

وها أنا لا أقول قوله: "إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك"، بل عفوت عنك قاتلتي، وليكن ذنبك وإثمك وإثمي دينًا أحتمله حتى نقف بين يدي عزيز مقتدر، أو أكفر عنه فلا ارتحالي.

ولكني إليك أرنو، وانتظر.

فهل تأتين؟

نفسي أنجم (أرتاح) شوية بقربك. عشرة أعوام أو يزيد، لم يهنا لي فيها بال.

زمرًا

إفروديت

ولأني أعشق مقلتيكِ، حبيبتي، أدمن التسكع في مرايا وجنتيكِ، أرغب دومًا بلثم ذاك العناب وأكره أن يعضها البرد، سيدتي، لذا آثرت البقاء على شط الذكريات استرجع كيف كنتِ حليمة على روحي حين شبعتها من رياكِ وجميل حديثكِ وعذوبة صوتكِ تسري في جسدي المنهك الملتاع بضيم الغربة ووحشة ليل الضياع...

آواااااه، وأنتِ حلمٌ ومنالٌ صعبٌ، يكاد إدراك ثنايا عطفكِ يشق عليَّ كثيرًا، وأنا لا أضمر في ذاتي إلا اشتهاءً وتمنيًا ورغباتٍ تستعر، ومزاج عكر لا يصفي إلا قربكِ، معشوقتي...

سيدتي

ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، ولكنه ليس اختلاقًا، وإن انطلق الملأ منهم: "امشوا واصبروا على آلهتكم"، صبرتُ على بعدكِ وما جزعتُ إلا مع ذاتي، بكيتُ دمًا في بحثي عن جثو لديَّ مأكمةٍ يضيق الباب عنها، وكشحًا قد جننتُ به جنونًا، وساريتي بلنطٍ أو رخامٍ يرن خشاش حليهما رنينًا،

وأنا المختلج قلبي لوعةً، أحار بما أناديكِ، أيا حليمة، وأمنتُ أن الحلم أنتِ، أم أصيح إليكِ، أيا عظيمة، والعظمة منكِ، ماذا أقول، حبيبتي، غير أني أعشقكِ...

محبوبتي

والقرب منكِ ضعفٌ لروحي، إذ تاهت منذ أزمانٍ لديَّ عيناكِ، وغاب سماني الذكر فينا، فراح هنا في قلوبنا ذاته وروحه، وبقيتُ أنا جندًا ما هنالك مهزومٌ من الاغتراب، كذبتُ قبلهم وقبلي قومٌ عشقوا وهوي، فضاعةٍ بينهم الأنساب...

وما نظرتُ إلا صيحةً واحدةً ألمتني فيكِ، معشوقتي، وما كان لها من فواق، وسبحتُ بحمد حبكِ بالعشي والإشراق، ولا زلتُ عند بابكِ راكعًا أسالكِ المتاب والمآب، سيدة نساء العالمين، والمائة والأربعون على مئةٍ تهزُّ أعتي الجبال

عذرًا حبيبتي

لم أناديكِ حليمة، أو عظيمة، أو رفيعة، أو غالية، أو عالية، وأي وصفٍ وصفةٍ هي منكِ أقرب، لا أنتِ إليها، فلأناديهم صفاتكِ، إفروديت عسى يكتسبن منكِ ودًّا وحبًا وعشقًا، فتزدان بكِ الصفات، فيشددن على ملككِ ويؤتينكِ الحكمة وفصل الخطاب.....

سيدتي

وشغف الخيال منكِ حين نتسامر سيدتي، يحرك الروح والجسد، ولذاكرة التصوير لديكِ وفيني فعل السحر، وقولكِ الفصل حين ترتاد أصابعي سوح يديكِ، حبيبان بغيٍّ بعضهما فيحكم بينهما بالعناق، ولا نشطط، واهدنا إلى حلال الفراش.....

إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة، فقال: "أكفلنيها وعزني في الخطاب"،

وها أنا أسوق أحرفي إليكِ، استتيب روحي إلا أعشق إلا إياكِ، وإن أصابعي التي بترت لهي قرباني إليكِ، سيدتي
فهل من متاب؟

سيدتي
ولقد وطدت العزم أن عزَّ في الدنيا اللقاء، ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
فهلمَّ بنا إلى الجنة زمرًا

شهيق

إلى إفروديت

ومشيتُ معكِ كل الخطاوي الممكنة بقدرٍ عليها وبعرفها، لطالما عزفت هذه الكلمات سيمفونيتها في أذني بصوتٍ يكاد يدق قلبي فيصبح ركامًا تذروه الرياح، وما دلفتُ حين ولجتُ قلبي إلا بكلماتٍ مذاقها يتمناه الشهد.....

حبيبتي

وها أنا أضاجع الأحلام في بلاهةٍ وأمضغ الوعود، توكلتُ عليكِ وقلت: "المارق منكِ داخل جرح الوردة، وراسم فوقها غناوي الطل، والمارق منكِ شادَّ عصب الورقة..."، وحرفي وما عقمت ثمانٍ وعشرون حرفًا أن تتشكل كيفما شئتِ لها لتعبر لكِ عن ولهٍ وولعٍ وتوقٍ باللقيا.....

معشوقتي

أضع أحرفي هذه كآخر النداء، إذ مسني الضر بحرمان سويداء القلب أن تكتحل برؤيته، وهو إلى قلبي أقرب، ناجيتكِ سيدتي ورجوتكِ به، وما استجاب لنا الزمان وما أراد...

إفروديت

ولقد اعتزلتُ العالم إلاكِ، ولبثت في كهفي سنين عددًا، حتى إذا طلعت الشمس تزاور عن كهفي ذات اليمين، وإذا غربت أقرضتني فذابت وغيابها روحي، وتاق جسدي وحن قلبي لرؤيا ضنت بها معذبتي...

جميلتي

والحسان يتنقلن بين عينايَّ، يكاد بصري يزوغ إليهنَّ، فأصبو وأك من الجاهلين، حتى رأيت برهانا منكِ، فأستبقهنَّ إلى الباب لألفي عيناكِ تنظرني بغير عتب، فأذوب عند محرابكِ المقدس، وأنزع نعلي بواديكِ طوي، وأستل عصاي فتضحي سيفي، وأقاتل لأجلكِ من جديد.....

رائعتي

لا زلتُ أذكر... حين قسم في ليلةٍ تيهٍ أن ستكونين الملاذ وآخر المحطات، فقد أعياني الارتحال وعجزتُ عن المسير وحدي، ولكن... ولكن هذه لمَّا لا تدعني إذ تأني لتذكرني كم أنا وحيد، وهكذا عثرتُ على ذاتي لأعلم أن وعد الله حق، فبنيتُ على نفسي محرابًا، وقد يتخذني بعض المارة ببوابة العشق مسجدًا، ولن يماروا في الأمراء ظاهرًا، ويقولون: "عاشق إفروديت هاهنا..."

مجنونكِ أنا

والغياب سيدتي منكِ، وأنا معتكفٌ، أقوم إلى عبادتي كل خميسٍ منذ أعوامٍ، لم يفت من عضدي قسوةٌ منكِ أو جفاء، ولكن النائبات كثيرٌ، والقلوب واجفةٌ، والضيم يتكثف ليتبخر فيعود ليهطل على قلبي مطرًا أسودًا، حزنًا هائلًا، وقسوةٍ بدت تظهر للعيان، وخشيتي أن يصب عليكِ مطر السوء، رشاشه، فيتبلل ثوبكِ، ويثور فيني عشقكِ، وتبرز مفاتنكِ فيرق قلبي حين أنظر ذاك العقد الذي ما ملَّ أن يجول على النهدين ظمآنًا...

معشوقتي

وحين نعرض على ربنا صفا، ونأتيه كما خلقنا أول مرة، سأشكو إليه بثي وحزني، وأنتِ

وان عزَّ في الدنيا اللقاء، ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا هذا قول شاعرِ يعجز عن بلوغ مرامه

أما أنا فأقول لكِ: "سآتيكِ على ظهر جوادي، وأقاتل عنكِ كآخر انتصاراتي، فلتأوي إلى جبلِ أو بحرِ، وسآتيكِ ملطخًا بدماء عشقي، ومن أراد لنا فراقًا"

وهو عهدي إليكِ

خارج النص

إلى أنثى داعبت مخيلتي
وأنا سقيم
محبوبتي هتب
أكتب إليكِ وجسدي يئن سقمًا وشوقًا،
فحنيني إليكِ، محبوبتي، لم يسعه الانتظار حتى غدٍ، فساقتني لهفتي لاحتضان عينيكِ، ولأدخل في ليلين، فرعكِ والدجي، وألثم كالصبح المنور فاكِ،
فسر شفاهكِ أودعه، يزيد في عنابٍ، عض عليه ببردٍ، وقد ظلمكِ فهو لم يَرَ اتساق شفاهكِ ورغبةٍ تعتري ناظرهما

عزيزتي
والسقام يمتلك الجسد، وأكاد لا أميز إلا عطركِ، فعطركِ لا يجد طريقه إلى رئتي، بل يلج إلى مسامي، فالتفت إليكِ وأمدُّ زراعي ليتكئ جسدكِ المتعب على صدري، فتسكن عواطفي حينا حتى القاكِ غدًا

حبيبتي
وحين غدٍ أجدني أمسك بتلابيب عشقكِ، وأسالكِ أن تظلي هاهنا معشوقتي (ما تقي خواف اتوكل تعال)

محبك دومًا
تومساااااه

لاعج حد الثمالة

معشوقتي إفروديت، وكلهن حين يأتين في سياق الحرف كلمات يسمين مرادفات حب:

إخلاص، إعزاز، إخاء، تتيُّم، تعشُّق، تعلق، تلطف، تولّه، جوى، شغف، صبابة، صبوة، عشق، غرام، كلف، لاعج، لوعة، محبة، معزّة، مودة، ميل، مصافحة، هوى، هيام، وجد، وداد، ولع، وله، ودّ، ولوع، ودّ.

وكثير منها يشكل كيفما شاءت عيناك حبيبتي.

سيدتي

وكلهن حين يأتين كنساء يتمايلن وينضحن أنوثة ولهفًا، اصطفي من بينهن من يميل لها قلبي، وإن كانت روحها قفزًا من كل عشق. ولكني لاعج، أي إنني اخترتك كنساء العالمين جميعًا، مترادفة حرف ومالكة كل امتيازاتهن. فلا يفضلنك شيئًا ولا يزدن عليك غير كونهن مترادفات لأصل هو أنت.

حبيبتي

وأنا أخاف من البحار فيها الظلام، رائعة ما كتب حبيبتي، وأنا الذي قضيت العمر أنتظر النهار.

أترى سترجع قصة الأحزان في درب الحياة؟

فلقد سلكت الدرب ثم بلغت يومًا.. منتهاه،

وحملت في الأعماق قلبًا عله ما زال يسبح.. في دماه.

فتركت هذا الدرب من زمن، وودعت الحنين، ونسيت جرحي.. من سنين.

معشوقتي

الموج يجذبني إلى شيء بعيد... حب جديد... إني تعلمت الهوى وعشقته منذ الصغر،

وجعلته حلم العمر، وكتبت للأزهار للدنيا، إلى كل البشر.
الحب واحة عمرنا، ننسى به الآلام في ليل السفر، وتسيّر فوق جراحنا بين الحفر..

معذبتي

كلمات كلما قرأتها سافرت بين عينيك والخصر الذائب بين وهاد نهديك والمأكمة، وغفوت عند حجرك استلقي بعد طول سفر وعناء، ولكأن حين تتنهدين أبلس كمن أتته الساعة ولم يحضر معه من زاد غير هوى عينيك.

سيدتي

ولكم سرنا في الأرض ولم ننظر عاقبة الذين من قبلنا، وارهقنا صعودًا بين ساقيك والكهف، واستلقت جلودنا عند وادٍ غير ذي زرع ببيتك المحلل، فزادنا غبطة وسرورًا وانفجرت منه اثنا عشر عينًا تجري لتسقيك حبًا وعشقًا وودًّا وصبابة وَلَوْعة وبهجة ومسرة وشغفًا وغبطة وجوى غرامًا وهيامًا.
اثنا عشر مترادفًا يأتينك طوعًا فتحبل أرضك الخصيب طفلًا يأتي صبا ينادي ذاته والآخرين...

هتب

(ما تقي خواف) تعالي إلي كلمة سواء، إذ نحن بالعدوة الدنيا وعوازلنا يبصروننا من العدوة القصوى. وبحبك الذي ارتوي منه واستزيد سيقللهم في أعيننا ليريح صدورنا، وننظر ميقاته بالتقوى، ولنسير جنبًا إلى جنب حتى روضته، فنستعيد حبًا وعشقًا لم يمت بل وقر في القلب ولنعد للمسير من رباط العشق ما نرهب به عدونا والملكين ببابل وما خلفوا.

بشكو ليك يا ربي

وحين يعتصرك الألم ويزداد عليك الوجع، تجأر إلى عزيز مقتدر وتضع ذاتك وآلامك بين يديه، أملًا بحسن بقاء أو طيب لقاء.

وحين أسبوعي الذي مضى وأنا طريح فراش يسعى بيني النطاس والشمات، يأتيك فرج الرب عند (مهجة ومحمد)، يهونان عليك مسغبة الألم ويحملون فؤادًا تقلب بين جمر ولظي وعشق وهوى وسقام.

يهرعون إلى روحك خفافًا فيسكنونها حيث أسعد، ويقفون إليك، وبهم يكن الإخاء...

ولأنهم يا إفروديت

وأعني البشر يشكون إلى ربهم جور الحبيب وظلمه، وأنا الناسك في محراب عشقك أقف لديك خاشعًا متبتلًا من كل ملذات البسيطة إلا عشقك، ولا أشكوك إلى ربي وقد نالني من الظلم علقمه، بل أشكو إليه عجزي وقلة حيلتي في الوصول إلى عينيك...

حبيبتي إفروديت

وحين نادى فرعون سحرته فالقوا ما في أيديهم، خيل وقتها إلى موسى أنها ثعابين، فأوجس. ولكنه لم يكن يعلم أن ما بين يديه أقوى وأعظم، وأنت كذلك معشوقتي. بين وجهك قرآن ونور وضياء وجمال، فلا تخشي إذ تنادوا أن اقتلوا عشقه أو اطرحوه أرضًا، يخل لهم وجهك والضياء.

وآثروا أن يكون قلبي في غيابة الجب (الغربة)، عسى يتلقط قلبي إحدى الحسان بهذه البلدان، وأتين النساء يمشين، فما وجدن ولن يكون لهن طريق إلى قلبي، فهو مسكون بعشقك أنت...

معشوقتي...

والحب فيني بك يتسربل فتأتي أنفاسي بريح منك، فالتفت لأنظرك فلا أجدك، ثم البث أتذكر أنك في دواخلي. فأكرمت مثواك، عسى أنتفع من عشقك نبضًا يحرك خافقي بعد طول موات...

وراودتني التي أنت فيها عنك، وغلقت الأبواب وقالت: هيت لك هن كثر، فمالي أراك تسكن عيناها وترتحل إليها كل حين. وما علمت أن عيناي حين سكنت صفحات جبينك، أُحسن مثوى فؤادي عندها، وقرت عينًا. فكيف أرتحل عن شاطئيك حبيبتي...

مثواي

فلتعلمي أني إليك مرتحل غاد ورائح بين يقظة وحلم، ويا ليته نعاسًا يزرني يومًا فأغفو ولو ليلة في كل عام. استدر بها عطف ذاتي على نفسي، فآتيك على صهوة ذات الجواد الذي تعرفين... فأخطفك على صهوة (العملاقي). فاجلسي على صهوته، ومدي ذراعيك وسطي، وتشبثي فالركض عنيف، وجوادي لا يهدأ...

محبوبتي إفروديت

كثير منهن خدعن بقولهم حسناء، والغواني يغرهن مدح وثناء. وما وجدوا جنة أو ريحها. وإذا ناديتك جانب الطور أن تعالي زمرا نساق إليها طاعة ومحبة.

وحين التقيك
سأظل أعشقك.

الأوقص

إلى حبيبتي إفروديت.

وإذ تنادت الأعراب بالجاهلية الأولى، ببعيدة مهوي القرط رمزية للجمال، بطول عنق يشرئب شامخًا وتحته كنز جليّ واضح، يهتز حين الضحكة والخطو على الرمال.

إنهم إذ عشقوا ذاك العنق كفرت بإيمانهم إذ ساروا لا يلوون على غير حديث أفاكهم الذي دعاهم لعشق طويلة العنق...

أيا عشقي

إنهم لم ينظروا كيف أنت وقصاء... دعجاء، زوراء تمشين الهويني كما يمشي الوحي الوجل.

وإني حين أبصرك ويراك الجمع وهم حشد يلعبون الورق على قارعة (قشرة)، تنازعهم وتنازعني (الخشاشة)، ويصيبنا (الحرد).

ولعمري أن (البسقة) تميد تحت أقدامنا، فلا ندري، أعليها نسير أم أصوات (الكلاكس) التي تتعالى تصيح بنا إذ زاحمناها المسير على البسقة.

روح قلبي

وددتك (رفلاء) حتى أهنأ بك، إلى وحشمك عنك تزودان (مشمرخة)، تفيض ثيابك عنك فتبرز مفاتن فيك أعشقها، ويا لهف روحي بك سيدتي وأنت (مزمك) يرنوا جسدي قبل عيناي إليك ..... أحببتك وها أنا أكتب (الخثرود) ولا أدري ما قلت أو قلت حتى أرى عيناك فيثوب رشدي إلي وهو (قصنيف) لا يتسع ولا يقوى على احتمال فراقك، فيضحي كالطير (قشنيد)

معذبتي بالوصل

ثلاثون مضت والتسليم درجة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، وكنت امرأة فرعون إذ نادت بقرة عين ...

وإذ قدر لقائي بك يومًا منُ على من استضعفوا ولعلي أريد أن أكون بك إمامًا أو من الوارثين

وها هو الخميس يأتي سيدتي وأنا أقسم اليمين، هذا الخميس كسابقيه أنك لي، وأني سأكون بين يديك، أزود عنك حين تسقين وسط الجمع فتاتين إن استأجره يا أبت، ولعلي أك بعد هذا خير مستأجر قوي أو أدنو لأكون أمين.....

أيتها الشنفرة

لم أعهدك (صايخة)، وهتب أقول لها دومًا ما تقي..... سيدتي فثباتك ما علمني أن أكون هذا الرجل حبيبتي لا متحفنش، بل يقين يتملكني حين أبصر عيناك تحت (شعافيل)، تزيد جنوني بك وترعبني، فأقفز إليك غير عابئ بناظر أو مستحِ ...

معشوقتي هو العهد أن أمر على الديار، ديار عشقي، لا أقبل ذا الجدار وذا الجدار، بل آتي لأجلس عند قدميك سائلًا التعطف وحنو منك، وإن أؤجر بعدها ثمان أو عشر حجج أيام الأجلين أقضي، فأنت لي وليكنَّ تسعون حجة، فأنت تستحقين

سيدتي ...

وليل الغربة طويل، وموحش وقفر ليالي غيرك، أفأسلك يدي في جيبي لا أرجو أن تخرج بيضاء، بل تخرج بك فتسعد شقوتي ويضيع (صامط) وأذوق ما أشتهاه زكريا فآكل الثريد....

وجسدي يود طعامه عندك حتى نلتقي، لك ودي وكل حب

هو العشق يحشد أجناده

(بالعامية)

السهراجة

وكت جاتني السهراجة لقتني (مكوفر) تب وعندي خمة نفس وشحتافة روح مودر سااااي

(ميروووود) أرجف، أقابض في النفس والكراع (مشموطة)، ما فيني حيل أفرها والضهر (معسم)، قدر ما جابدت ما فريتوا فوق العنقريب...

دحين ظنيت (موتب) علا، وين الدابي النقرني والبلد مافوكها نملة حايمة .... عرفت دي المفدعة، ويا نسايم الليل، روحي سلمي للبريد روحه كلمي بالجمال وجهها انغسل ... والعين طابعها الكسل ..

والمزمزم ضرب مثل .. عجوة معطونة في عسل ..

معشوقتي ....

وأنا ارتحل من شاطئيك لأسكن بواد غير ذي زرع والله إياه أسأل أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا وحبي الصغير، وعند ذاك المقام أستودعك روحًا عشقت مقلتيك وسكنت لديك حينا من الدهر كان عندي مذكورًا

عسى أن يضحي لدي بيتًا معمورًا.....

إفروديت....

وحين أسير لا ألوي على شيء، أجد الفرح والنجاح يومًا تلو آخر، وأسبق الخطى لأجل ذاك الغض، لا يدري بأي أرض يكون غدًا.....

محجور الخدور

ما هو الخليع وسفور زاد في نفوره نفور، وأصبح قلبي في إيدو اليمين عصفور .....

لو ينفع المحذور مالي ومال هواه الضامر المفزور، قاسي ومنيع ما بزور.....

لكن دابو تاب جاهل صغير معذور هل الهلال في حجور

متقلد نجوم لافح أزار ديجور ما برحم المهجور

مأسور الجمال قال يرضى حكم الجور

ناعس لواحظ حور (هاروت) لو رآهن مثلي كان مسحور، فاق الحسان الحور.....

سيدتي

لعله خميس كنفسي مضطربة، فالتجاوز سيدتي مهما يكون يصرخ فيه فؤاد، وتنهك روح، ويهدم معبد قلبي فيصبح ركاما تذروه الرياح، ولكن حتما ستعبر، وسيكون لنا من الله ما يشاء لنا

ولعي...

سأكون حاضرًا حين تعودين لألقي عليك التحية ودادا وصونا لأيام كنت فيها جواري، ترتلين بأذني أن لله ما في السموات والأرض، ولأنها له لن أقنط من رحمته، عسى تكونين بين ذراعي يومًا، فآنس إليك، وأشبع جويً وجوعًا إليك بك....

أنظرني

أحتجب عن البوح هذا الخميس، ففيض مشاعري أغرق قواميس الكلمات، فما وجدت حرفًا أتبينه لأضعه موضعه في قوافي شوقي إليك سيدتي.....

إفروديت

أحتجب عنك فاتنتي، وأنا المغرم بجمال شفاهك الآمنة، إذ هي ملاذي حين الولع يثور فيفور التنور، وأصيح أن تعالي فاركبي وتستعصمين بجبل، عسى يكن لك حاجبًا من الطوفان فتغرقين بلهف منك وتذوبين حين تعطف ساعدي فطواك.....

معشوقتي

أحتجب عن وصفك وصفوة الخلق جميلها وفاتنها ولطيفها، وثغرها الباسم ينتزع الوجد مني

فأثوب إلى رشد يعاجلني بلكمات تعيد إلى الصواب بعض حين، ثم لا ألبث أن أغرق من جديد فتغيب عن الوعي كل جوارحي وأسير إليك من جديد.....

مليكتي

ومعاجم الكلمات ذابت في فيض مشاعري، كيف أكتب إليك حرفًا، وأين أجد الكلمات؟ عساي إيمم شطر بلاد الفرنجة، فقد أجد مرجعًا في أندلس أو بلندن أو على شط أحرق بن زياد فيه مراكبي، وصدع بقول يرن بأذني: إن الجفاء خلفك والحب أمامك، فانظر ملاذًا تلج إليّه.....

سيدتي

والجمل لن يلج سم الخياط، ولكني سأفعلها، وسأبحث حتى أجد ما يشبهك من كلمات، أسوقها إليك مهرًا، فليس بيننا سواها، عساك تؤمنين

بها وتكون هي جسدي الذي تنظرين وروحي التي تشعرينها، وأنفاسك الحري على صدر عار يحتويك.....

رائعتي

فلتقبلي عذري هذا الخميس، فقد ضاعت المعاجم والكلمات، وأنا احتجب عن الكتابة إليك، عطفًا على وعد ظننت أو أكاد استيقن أن إبليس قد وفي بما وعد به رب العالمين أن يغوينا أجمعين، فشق عليّ النفس أن تلوذ بكتاب الله، وثقل على الروح أن تتدثر بالفضيلة، وأن تطيع الله عز وجل، فنشزت وضلت وعصت قلوبنا

بيد أن روحي بك سيدتي لا تزال تهيم في محرابك، وذوبت أسفا إذ لم أجد هذا الخميس ما أكتبه، فقد أضلني الشوق فبكيت فراقك، وأغرقت مراكبي عند شطك المقدس

وحتى ألثم ثغرك

سأظل أنتظر

وداعًا معبدي القدسي

علي عبداللطيف – متمرد على أي حاجة (باحث عن وطن)

حافية القدمين (إفروديت)

تمزقت نياط قلبي، وإدلهمت الخطوب، وهي هكذا دومًا تسكن روحي وقلبي، وتُحزن نفسي برجع صدى ...
ارتحل سيدتي وأنا مكلوم بعشقك، معتز بذاتي فخور بها إن كنت يومًا إلى جوارك ....

ملهمتي
ولقد وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك، إفروديت شقيًا، فلقد ناديتك بالوادي المقدس طويًا، وارتجيتك ودمعي زارف، ودمي نازف، وسعيد أنا...
فإذ ناجيتك، رغم ألمي، كنت أنظر إليك مغتبطًا، وتلك مني أناة وفجور، فكيف لعصفور مثلك أن أعشقه محبَسًا من ذهب...
هي حقًا، أعطني حريتي، أطلق يديَّ، فإني أعطيتُ ما استبقيتُ شيئًا، وقد كنت أدخرك ليومٍ أتوكأ فيه على عصاي وظهري مقوَّس، نتسامر ذكرياتنا وخصب المواقيت حين تمتد روحي إليك قبل جسد منهك بالاشتهاء ومشتعل بالشوق، ملئت ثناياه بحبات عرق سالت على جسدك ليل شتاء زمهرير...

سيدتي
إني نذرت للعشق صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا، فلتسكن روحك، فإنني قد احتملت من رهج سنابك الألم الكثير، وما انكسرت أو انحنيت يومًا...

احتملت من الأذى ما يحضني على "رب إني مسني الضر، وأنت أرحم الراحمين"، ومنعت قلبي أن يرددها، فأنت هناك، وإن أزعجك بخفقاتٍ تقلق منامك سيدتي، فذاك المستحيل...

هكذا كنت معشوقتي، أمشي إليك على أناملِ تميد بها الأرض تحتها رفقة بك...

أخفض عندك جناح ذل من رحمة، عسى يكن يومًا ودًّا وحبًّا...

أدفع عن إخوتك وذاتك لأجل عينيك، معشوقتي، ولا أجد في نفسي حرجًا إلا أن أغمض عيني فلا أجدك...

فلترحلي بصخب أو بصمت، وليحرسك عشقي أينما كنتِ، وأينما شئتِ...

فقلبٌ أنتِ بداخله أن يدعو إلا لكِ، وإذ الطاوية تأتي سأزود عنكِ، وأنا هناك بين يديِّ أخري، وقلبي معلق لديكِ...

معبودتي

والخطو إلى دار جديد يمزقني، ولابد مما ليس منه مناص أو هروب، فأنا طير يعشق الألم والفرح ويرجو الحب والوداد...

تنازعني ذاتي فيكِ، ويأتيها المخاض إلى جذع الهوى، فناديها: "أن هزي إليكِ بجذع الدنيا، تساقط عليك حورًا، عسى بينهن أجد ملاذًا يحتضن هيام روحي، وتيه قلبي، فيسكن عنكِ، وحتما سيكون..."

استودعكِ قلبي وروحي وصالح الدعاء، ينهمر إليكِ إذ (بنتم وبنّا، فما ابتلت جوانحنا شوقًا إليكم، ولا جفت مآقينا)،

وإني لأرجو أن يكون لي من إبراهيم كشف حجاب، فانظر فرعون وهو ينكس عنكِ، وفرحًا يمس تلابيب روحي، وأرجوه أن يأتيني من سبأ ذات الهدهد فينبئني بسعادة تغشاكِ، وتطوّف حولكِ، فيرفرف قلبي غبطة بما أصابكِ من فرح وسرور...

فلتسعدي سيدتي، فوجيب قلبي، أظنه يزعجكِ، فعسى ربي يجعل من سكونه هدأة لكِ، ويجعل من ارتحالي فرجًا لكِ، ومن بعدي حياة لكِ.
فهلا نعمت وضحكتِ، ففي ضحكتك سر بهاء اعتدت تنشقه، وما أنا براغب عن عبادة إلهكِ إفروديت، ولكني انتهيت حتى لا يرجمنك شوقي وعشقي، وأهجريني مليًا.
وسيظل هذا المكان مذ هذا الخميس قفرًا، حتى احتضن روضًا جديدًا لتنساب إليه مفردة بتول، تشبه أرضي...
فتالله إن شقائي وسعدك أحب إلي.

العنقاء

وحين توطن ذاتكِ على السوح في أفلاك ثابتة، يكُ بينهن كوكب لا تراه، يطوف بناظريك، وقلبك مشغول عنه بنجيمات...

وإذ العنقاء رمزًا للحياة الأبدية والبعث بعد الموت... فها أنا بين يديك سيدتي أعلن ميلادي من جديد، واذ العنقاء رمزٌ للإخاء والمحبة، وانتشال الآخر من الأحزان، أتوجكِ مليكتي، مذ هذه اللحظة شريكتي ورفيقتي وصنوي...

مليكتي...

إن العنقاء تحرق روحها بعد كل خمسمائة عام، لتبعث من جديد.

وروحي محترقة قبل ذاك، ولقائك ميلاد روح ستسعى بينكِ، والزغب والضباب والخليج، واليمن بيضة بحجم ثور، لا تكون إلا مرة في عمرنا، وقد أتت بعد طول عناء...

معبودتي...

قبل لقاكِ، سامت نفسي كثيرات، أتوددهن، وأرجو من بعضهن وصال، تنقل قلبي بينهن وآب إلى المبتدأ حيث توجب أن يكون، وهكذا كنا لاهية قلوبنا، وأسررنا النجوى. فهل أنت بشر مثلنا؟ أم أنك تأتين السحر فتصيبين روحًا وجدت عند مقدمك...

أم هي أضغاث أحلام، أو فرية شاعر، أتاني بآية لم تك في الأولين...

والروح بين شارع تمبول وخور الإسبيتالية ضجت ورقصت سنينًا، وقد كتب في أزلٍ أن الروح للأقرب، والسعادة لذاتكِ لا تكن إلا لمن به رحم ودم ووصل ووداد، وعميت بصيرة أن تدرك أن الحق سيقذف على الباطل، فيدمغه، فإذا هو زاهق، ولنا السعادة رغم ما بصفون...

معذرة إن بدأت أكتب القصائد المجروحة، واستقيل من منابر الغناء.

معذرة إن هجرت ذلك الميناء.
فإني فقدت في دوامة الصمت جميع الأسلحة.
فقدت رايتي التي غدت على رمال عجزنا مطرحة.
فقدت ساعدي الذي يحملها ووقفت عاجزًا وباهتًا أمام هول المذبحة.
معذرة، بس تعالي، قفي معاي، نشيل كتف الغنا الميل، ونتخيل...
كيف أضعنا أيامًا وسنينًا بلا أمان...
أيتها العنقاء، تعالي.
وحين يأتي الخميس، دعيني أتشممكِ، وأنهل من رياكِ سلافًا...

قصة الظهيرة

(العنقاء)

والسماء بها ذات الغيوم التي ودعها بها ذات يوم ماطر في مسقط رأسيهما، ثم ما لبثت أن فرَّقت بهما الدنيا سبلًا شتى، فصار كلاهما مملوكًا لآخر...

وذات الغيوم تظلهما على بعد المسافات بينهما، وقرب القلوب... يخفق قلبه في سعادة، وترتجف أوصالها حين يهمس في أذنها، وتتعالى ضحكتها، فترقص روحه فرحًا، فيتحرك جيئة وذهابًا بغير هدى...

وهي ذات السماء تمطر كما كانت حين صغرهما، فيلهوان غير عابئين بابتلال أردانهما وأعطاف ميزتها كأنثى مختلفة مذ صغرها، وذات الابتسامة الجزلة والحياء، وبعض حزن يخيم في السماء...

وهي ذات زخات المطر والخوف، ورعد وبرق، تجعل أصابعها في آذانها حذر الفراق، وهو بها يهيم ولا يدري أن الأقدار تسوقه إليها بلا جدال...

وها هما، بعد أن تقلبا في فراش غيرهما، يأتيها ليجلس عند مأكمةٍ لها، ويقول: "هلا فعلتِ بي خيرًا، فضممتني إليك..."

خيرًا أن تدعيني أعوِّض عن روحينا مشقة الفراق وسوء التنقل ورهق التسفار...

خيرًا معشوقتي، فلحظة طار عصفور من صدرك حين شددت حزام السيارة إليكِ، رتب فينا إحساسًا بالألفة، ودوزن عصب الزمن الأشتر، توكلت عليكِ، وقلت بملء الفم: "دعينا نمت إلى جوار بعضنا، فذاك كل الخير بعد أن فرَّقتنا الدروب والبلاد..."

خيرًا، فلقد كتم مشاعره منذ أمد بعيد، وتنازعت روحه أن تبذلها إلا إليكِ، ومد من حبل الوداد أشرعًا في طريق عشق لم يشك يومًا أنه

سيلتقيكِ في آخره، فيعطيكِ عشقًا وحبًا ووجدًا وهناءً لكِ فقط، هو أدخر...

وذات الغيوم تسقط كسفًا من عشق، ونقاط من ماء، لتغسل حزنًا علق بالأنفس، فيرتد ارتجاف قدميكِ مع "افعلي بي خيرًا"، صدى في جوف قلب اصطبر طويلًا، وما وهن ولا وني...

السكون يجعل من صوت حذائكِ على سلم ترتقينه فرحًا، يبين عند وقع قدميكِ عليه، فتتسع ابتسامته، وبينكم ذات الغيوم، ولو بعدت بينكم الشقة والزمان...

وما تلك بيمينكِ يا موسى؟ قال: هي عصاي، أتوكل عليها، وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى. وأنا بيمينكِ، توكأي على، ودعيني أرسم على ملامحكِ غبطة استحققتها، ونعيما رجوته، وأملا غادر الصبا، وظل يسكن الفؤاد...

هي ذات المشاعر والوجل والخوف، وذات خفقات القلب القديمة، وهي العشق البريء يعاود الظهور...

خمر معتق وعشق مثير.

والعشق نقش على صخر لا يزول، فما أن تطل عليك قمرك، وإن طال الزمان والسنين، يتسارع نبضك وخافقك، يكاد يخرج من جسدك، وعيناك تفارق محجرها، ولو خسرت بقاء في كهف معزول عن العالمين عشرات السنوات، وجزاء ذاك الاعتزال لقاك، للبثت في كهفي، وما أن أفيق إلا بعثت بورقي هذه إلى قلبك، وسأتلطف ولن أشعرن أحد بما صبرت وما نلت وما لقيت...

معبودتي العنقاء،

ضيغم، كنت ذاك الزمان، أكاد أخترق الأرض وأبلغ الجبال طولًا، وأنت تدور ثم تدور، ثم تعود في قلبي لتسكن شاطئيك، وأزهار الشتاء بخيلة بخلت علي كما بخلت عليك، فاشتط علينا المسير...

وأنت مبتدأ الكون وحجر زاويته، أضرب برجلي الأرض، عسى تزم بسيل عشق يكن للعالمين ملاذًا، نهلت فيه رواء، ونهل فيه وجهك الوضّاء، ونهلي غير نهلهم وغير نهلك، وكلنا ناهل من جنتك، ندخلها تجري من تحتنا الأنهار، لنا فيك ما نشاء، وكذلك يجزي العاشقون...

معشوقتي العنقاء،

عذرًا حبيبتي إن أتيت بدون أزهاري، لألقي بعض أحزاني لديك. سنوات ركامًا أثقلت روحي فعجزت عن المسير، وكدت أقنط من رحمة، أتنسمها الآن بين يديك، وأسير بها بين الركبان زهوًا، وأمتشق حسام كلماتي من جديد، واعتلي صهوة جوادنا، لأنشد لعينيك ذات الأغنيات، إذ تسمعينها، تطربين، فيميل عودك وتهزين نهدًا وفرعًا وجيدًا، فتخر جبابر روحي صريعة لديك، فتلامس يداي كفك المخضوب، فانجذب فاقدًا قدرتي واليقين، وبيني وبينك خضاب يحجب روحي من الصعود إلى بارئها، فلولاه كنت شهيد عشقك المهيب...

سيدتي،
جهبذ أقول فلا يرتج عليّ، وأستقيم في قولي فيأتي البيان نثرًا من فاه، تلقن الآيات يافعًا وسيدًا أُطاع في قومي، تجري بين يدي نعماء تظل أرضي...
بيد أني لديك لا أكاد أستبين الفعل أو الاسم، وأكني الاستعارة بعض حين، وأنصب الخبر، وأرفع المفعول به، وأظل على تلجلجي حتى أغادر أرضك سيدتي، فمذ وطئت قدماي سرحك ما درت نفسي بنفسي، فهي ولهي بك عشوق...
محبوبتي،
ولقد أقسموا بالله جهد إيمانهم، وأقسمت جهد عشقي ألا أبارح، ولو رأيت الطير يتخطف جسدي الناحل. وكيف لي أغادر وقد اتخذت من عينيك بيوتًا ومن جيدك ومما يعرشون...
وها هي قرابين عشقي تنحر لديك، فينتحبن أسيًّا، وقد عزمت ألا أكلم بعد اليوم إلاك، ولن تصبو إليهم روحي بعدك سيدتي. وإذا استسقي لقلبي، فاضرب بهواي الحجر، أنهل منك وحدك، واستغني عن العالمين، فلا كفاية إلا أنت، ولا سقيا إلا منك، ولا هوى إلا بك، ولا رفقة إلا معك...
رجائي،
الخمر حين يطول أمدها وتحفظ لسنوات، تضحي معتقة كما أنت، سنوات في خدرك تعتقت مشاعر تحتبلينها، وازدان فاه وجيد ونهد وخصر وردف نضيد...
عتقتك السنون، وذات الطفلة تلك تجلجل بصوتها الندي، تمد مواشطها تصيد قلبي به من داخل الجسد، فيخرج صادحًا باسمك، أن يا..... كوني لي سكنًا وبيتا استخفه يومي ظعني ويوم مقامي، وفيضًا من سرابيل عشق تقيني قيظًا وحرًّا...
والعهد بيني وبينك أن أكون إليك كما تشائين.

العنقاء (ديوميد أخرى)

قصة قصيرة جدًا (للأذكياء).

وامتزاج الروح بيني وبينك خط توقيت عالمي، نفس التوارد في الخواطر، وبرضو أرقام التذاكر التي بها سافرنا، وشهدنا انفجارك في الأرض...
والقلب ينبض لديك، فيضخ الدماء في جسدي، وذات الرئة تتقاسم المؤكسد، فتهبك إياه، هي السكني في فراش واحد...
وهي الواحد وعشرون عامًا، أيضًا لم أحظ فيها برؤية القمر، ولا يزال نبضك في قلبي، وأنفاسي لديك...
هي الأمس واليوم، وديوميد أخرى، بلون جديد (مختلفة أنت)، وأنا أعشق المختلف، ولا غرو، إذ عشقت أرضك البعيدة عني، وأنت قربي، ولم أرها منذ أمد بعيد.

إلى العنقاء

هذا الصباح

تلمست فرعك الدجي، فانساب بين أصابعي، وأيقنت أنك قد خلقت في الحسن فردًا، فما لحسنك ثاني؟ كأنما قد حويتِ كل المعاني.
أسود كحالك الأيام طويلًا كالحرير بين أناملي، حتى لمس بناني الردف، وأنا أتتبع انسياب فرعك الحرير...
انسللت من فراشنا حتى لا يستيقظ الملاك جواري، واستودعت عينيك خالقهما، والضياء فيك ينبر دربي،
وحتى الإياب كوني بحفظ ورعاية.

إلى العنقاء

نهارات الحب ونيرون،

إليك في نهار هذا اليوم، وأنا أشتم رائحة كبدي المشوي بآهات أزفرها إثر لوعة تتملكني لرؤياك...
ماذا تركت لنيرون، سيدتي؟ إذ كان أسوأ الرجال سمعة في التاريخ، وكنت مثله، وتقديس بوبايا سابينا، زوجته الأخيرة، يكاد يقسم عليه الجميع أنها ترعاه من السماء. وقد كانت رعايتك لي تعدل سابايا وتزيد...
ماذا تركت لنيرون وقد أحرقت حبيبتي جميع ذكرياتي حين مقدمك، فنسيت حتى من أكون، وشيدت كما نيرون ذات المعبد، وموسيقاه تشجيني، إذ أسمع شدو صوتك في أذني.
أن يا علي، إني أحبك يا عمري...
وظهورك معبودتي جعل الآخرين يلجون في خصام عتيد.
شكرًا نيرون، العنقاء، وذات الحريق بقلبي.
نهارك سعيد.

وجاءت سكرة الحب بك.

إلى العنقاء،

أيا شربة ماء في وقت ظمأ كاد يفتك بي. أتيت من سحيق ذكريات كادت تبلغ العشرين عامًا، وما غبت عن الدواخل. هي تلك الطفلة المتمردة ذاتها تدلف من حيث شاءت في قلوب العالمين، وتغوص في أعماقي منذ ذاك الحين وحتى اللحظة...

معشوقتي،

يمر العام تلو الآخر، وأنا أشتاق عينيك، وأبحث عنها وسط الأخريات، فلا أكاد أتبين الخيط الأبيض من الأسود بينهن، ففي كلهن بعض من رياك، ولكأنك حواء، فاضت على نساء العالمين بروح منها، وقبس قليل...

العنقاء

وامرأة نوح ولوط كانتا تحت عبدين من عباد الله أنبياء، فخانتاهما، وآسيا بنت مزاحم تدعو ربها: "أن ابن لي عندك بيتًا في الجنة"، وهي تحت فرعون الذي قال: "أنا ربكم الأعلى"، وأنا من ناء بشوقه إليك. كيف أعي من منهن أنت؟ فاعذري غفلتي وتخبطي وضياعي بينهن. أقبل ذا الجدار وذا الجدار، وما حب الديار شغفن قلبي، ولكن سكناك بقلبي لم تبارح مكانها، وكل المغنم يبدو تحت أعينها. ويقيني أن شقوة تصبني ستزول حين لقياك سيدتي...

محبوبتي،

تلجلجت زمانًا وأرتج عليّ، وأنا حين ابتدر الكتابة إليك، تنهال بنات أفكاري فتزاحم عليّ أي كلمة أضع، وأي (عرموس) أغلق، فتأتي الكلمة تلو

الأخرى، بنيانًا مرصوصًا، يحكي قصة عشق ستكون للأولين منارًا، وللآخرين بيانًا وسحرًا وهديًا يتبعونه كعلامات بنجمها يهتدون...
تزاحمني الحروف الآن فتسارع لتنال شرف الحديث عنك، وشغفها بك يزيدها شرفًا وتيهًا. تكاد بيراعي تطأ الثريا، فاكتبها واقفة لتجلس عند قدميك، تقدم فروض الولاء والطاعة كما أنا امتثل لأمر الهوى، فآتيك شرعًا كحيتان موسى تأتيه كل سبت، وأكون لديك ما شئت ووقتما تريدين، وكيفما تشائين...

روحي...
يممت شطر أودية قفر لست بها، وتجملت في كامل زينتي عسى يأتي مزن يفتح ميازيب السماء فأنهل منك ذكري بيوم ماطر، كم لهونا بمثله... فما هطلت علي ولا بارضي سحائب منك، وكاد يذهب البهاء والتزين عني، وضقت ذرعًا وعيل صبري، وطرقت علي الصخر حتى كلَّ متني. ولما كلَّ متني، كلمتني وقالت: لبيك سعدي، وفديتك زوجي وقرة عيني، وعسى ربي يبدلك بنا مسلمات مؤمنات عابدات قانتات سائحات، وأنا خلاصتهن بين يديك، فأمرني ستجدني طوع بنانك حبيبي وعشقي.....
مليكتي...
وأنت سفر الرؤيا لمن يعلم أو كان بصيرًا، وفيؤك يظلل روحي وقلبي، ويضوع حين قدومك شذي عنبر، ما إن لامس قلبي اهتز وربا، ونبت عشقك من جديد، وسلكت درب الزاهدين عن الآخرين، والتزمت كهفي وألفية عشقك وردي صباحًا وعشية، أستغفرك ذنبًا اقترفته عينٌ نظرت غيرك، وأسبحك لثما وتقبيلا، ألهج بحمد وجودك، أشعث أغبر ذي طمرين، أقسم بك آناء ليل وكل نهار...
هو عيدي بك، فيا عنقاء، كوني بردًا وسلامًا علي (علي).
وقريبًا يرحل قطاري إليك سيدتي....

بنت الأكرمين

وسيكون لك يومًا ما تود، فلا تحزن ولا تبتئس سيدي، فالدروب تقودك إلى حيث سعادتك، لا شك.....

مرهفة وهي تتثنى وآهات عشقها تريح كاهلي المثقل بخطايا ذاك الزمان.

مرهق أنا سيدتي ومتعب، أود أن أستريح لديك حينًا، ألمِّ شتات روحي فاستعيد بهاء روحي لأهبها إليك، وهي لك جذرا وأصلًا قديمًا.....

ها هو مسير يوم جديد، هذا الصباح، أشد علي ياقة قميصي وأعيد ترتيب ربطة العنق... أدس قدماي في حذاء قديم وقلبي معلق بك، وأنت تعدين كوب قهوتي الصباحي...

أرشف من فنجانك المملوء حبًا، فيذهب السواد من قهوتي وحياتي، ويعود بياض الروح والفنجان مع ضحكتك، وقبلات تمطرينني بها ومعها...

الله يوفقك حبيبي.

إلى العنقاء

الهزيم

وصوت الهزيم يرعد كما قلبي وهو إليك يحن، أقف بين الحيرة والدهشة...
أيهما قلبي وأيهما الرعد؟ ودقات قلبي تبدو أقوى حينًا، وينزل المطر كدموع عاشق يبكي لقاء حبيبته...
وتعاود زخات المطر الهطول على أرضي، فلا تدع جفافًا يعمر قلبي، وهزيم منك يغشي روحي فتمتلئ صبابة ووجدًا إليك...
معشوق السحاب إليك، أفرد جناحاي سجودًا في (تبروقتي) وأضرع لله أن يجعل روحي تحلق فتلتقيك وأنت هناك في سماوات بعيدة وحيدة، تأملين قرب اللقاء...
كم أشتاقك هذا الصباح.

قصتنا الصغيرة

سفر التكوين

روح محطمة وقلب مشيد، والسعادة تكتنف من تهيأ لها وزاد يقينًا بغد....

هنيهة فقط تكفيك لتدرك أن سحر تغشاك، وأن عبوديتك هي أسعد لحظات عمرك الآتِ...

ريثما يرتد إليك بصرك، تنظر عرشها قد وضع أمامك، فتمر أصابعك شوقًا علي خد أسيل، ويرتفع نهد إثر خفقات قلب عذري لم يتغشاه حبل كالجسد....

أن يظل عشرون عامًا وهو بتول، فهذا سحر لم يأتيه هاروت وماروت، وما حط يومًا بأرض بابل....

ممتلئ بك حد الانتشاء، وأخشى الوقوف لئلا يبصر الناس سعادتي والفرح....

سفر تكوين يكاد لا يوجد إلا بعد حين، إن تكن نطفة في ذات ميقات برحمين يختلفان، ويوم واحد للميلاد....

قصة الليل

عبق الحبيب

ظهرًا الملم أشيائي المبعثرة من علي نضد مكتبي، فأدس الكمبيوتر المحمول في حقيبته، وأدس معه أشواقي إليك، وأسحب وصلة شحن الهاتف، وقلبي ينسحب إليك بأسرع منها، وأرسم ابتسامتي وأشحن قلبي منك، وأنا أقول لك: جاييك. أغلق الفيديو، ثم ابتسم مرة أخرى.....

أرتب هندامي للمرة الأخيرة قبل أن أغادر، وصوت إسلام يأتيني من بعيد (مدير) خلاص، وصوتك يعلو عليه: حبيبي يا بعد عمري، أنا في انتظارك، فأسارع الخطى لأرمي بجسدي المنهك في سيارتي، وأبحث عن مفاتيح سيارتي ومفاتيح قلبي وروحي لديك...

تدور الماكينة بهدوء، وعيناي علي عدادات الوقود، وأنت إذ أرى دوما خيالًا منك في كل ما حولي، وما لمع، ورجلي اليمنى تود الخطو إليك، فتسارع بضغط دواسة الوقود عساها تحلق إلى دارك، فتحط رحالها، وتقذفني إلى عينيك سيدتي.....

معشوقتي

وأنا أصيخ السمع إليك، يأتيني تدفق شجوك، فيهتز قلبي وجسدي: عاوزة شنو حبيبتي؟ (عاوزاك أنت) طيب أجيب معاي شنو؟ (تعال لي أنت سالم بس)، يا سيدتي كلماتك تجعلني أسوق نفسي لبائع الورد، فاحمل إليك ذاتك في يدي، وهي بيدي لأهديك جنسك، وأشم عبقك في يدي ولديك....

سيدتي...

عذرًا فليلي بك يطول، والسحر وقتي أهجع فيه عندك سيدتي، وأنا عندي فكرة أصبرك، أمسح غبارات المواجع، وبقصيدي أغبرك عن أي حاجة أخبرك....

العنقاء

حين يتوكأ رأسك صدري، وتمر أصابعى بين ليلي وفرعك، والدجي عيناك وشفاه كعناب يزيد، أقيم ليلي اعتليك تنسكًا، فهو وسق، ولا نود أن نهجع حين أضطجع لديك، وأنت ترومين وصالا إذا رآه الناس، إذ هيَّت لي ما كان ليوسف، فكيف أكن ممن يهجعون؟ وفي الأسحار سأكن ممن يجعل الملائكة لي يستغفرون بك....

عذرًا سيدتي، فاليوم مجلسًا قد طال لزومه.

وغيض الماء

وجفت ينابيع الكلام، وتعطشت أقلامي لمداد شوق وحب تكتب به قصة اليوم، وكيف يمضي الخميس.
وجلت سيدتي وأنا أرفع الأقلام، وأغمسها في مداد أشعر به ولا أراه، وأخاف أن تجف الصحف قبل أن أروي للناس شوقي إليك.....
سيدتي
لحظة، طار عصفور من صدرك، توكلت عليك، وقلت: فلأرفع قلم الاشتهاء لأكتب به كيف أصبو لصدر ناهد، إذا ارتجَّ حرك عصب السكون وشده أوتاري باللهفة، فجثوت لديهما وكفي عليهما، وركبتي للأرض، وأنا ألثم منبتي فيك، فأستشعر دفء الخلق كيف يكون بداخلك معشوقتي....
أرفع ناظري إلي عناب عليه بلل، وأناجي ربي: إني قد مسني الضنك والحرمان، فجد علي بمسهما، فالظمأ مني، وفيهما قد استطال حوائطًا، وقام الف باب، وما كان بقلمي مداد.....
معشوقتي
وبنت من ورق الشتاء تساقط علي هاتفي، فيرن... أجدني أسرع لأرفع قلم الشوق لأريك كيف حياتي هي، وأنت هناك تظللك غيوم تمطر عندي أيضًا، فتبلل خاطري المنكسر لغيابك، وتجبر عندك كسور الاحتياج والوحدة ولوعة الفراق، وتسكن لدينا، فيطول ليلنا، وآهة تبدأ من شفتيك، فتتلقفها روحي لتخرج عندي حري ملئي بلهفي عليك، ولا خبر في هذا اليراع أيضًا، فارميه لأنظر آخر.....
العنقاء

ورددناه اليها كي تقر عينها وأعوام مضت وانت هاهنا بقلبي وهناك جسدا تأتيني ريشة الوصال تكاد تقول للناس علي صحائف بيض كيف كان العشق بتولا بغير رنو او تحديق او اقتراب كيف كنت انظرها تخطر بين قلبي والسحاب قامة لا اطيق فراق لها هكذا بلا اسباب احبها بغير شرط منها ازورها وأمد لها قلبي واخاف ان تزعجها خفقات تنادي اسمها في حضورها والغياب فهل وجدت ريشتي مداد تغوص فيه لتخرج فاخط حرفا بها لا والله لم تجد .....

سيدتي البتول

والعهر ليس وصما كما العذرية ليست جسدا مصان بل هي روح تزين مفرقيك امسك بقلم الفراق لأكتب اليك آخر احرفي فيه وانا مكلوم فهذا الباب موصد علينا وعليك محفوظة روحك في داخلي غلقت عليها الابواب وقلت هيت لك سيدتي ها هنا سوحك وفرشك منامك يقظتك لهوك عبثك جنونك تمردك والحب العظيم الذي كللتني به

اخذت قلمي وانا مرجف خائف واخشي ان يعود بلا خبر غمسته واغمضت عيني وضعت القلم علي صفحات افردتها امامي فسمعت صرير القلم علي الورق يكتب بعد هذا

لا فرااااااق فتحت عيني لاري الحروف ظاهرة علي الورق فصعدت راحة بين صوتي واخذت عميق انفاس ان كتبت لا فراق وكيف اسطع فراقا لك سيدتي وانا من وجدتك بعد ثلاث كيف اسطع صبرا علي فراقك وانت أمي ومن وعدتني ان تكوني

كيف استطيع ان افارق قلبي وامسي وحاضري وغدي

شكرا مداد الفراق ان كنت حاضرا لأكتب لا وداع الا لغيرها ....

وننتقل

وبين رغباتك وأمانيك، سيدتي، دومًا سد منيع يحول بينك والسعادة... هي أعظم مخاوفك، كما الأبعاد في المرآة دومًا غير حقيقية. هكذا مخاوفك، سيدتي، فزمهرير الشتاء وتساقط الثلوج على دربك هو ذاته ما يساقط رطبا غير جني على قلبك، فتختفي تلك اللمعة والبريق وشغف الحياة...

دومًا ما نخشى مواجهة الغد، فالمجهول هو الغول، ذاك الجني من أسطورة الأقدمين، يأكل من ثقتنا واعتدادنا...

سيدتي،

معذرة، فالقادم الجديد ينهب الفضاء، يغير التربة والبذور والحليب والثديين، ليسقط المرحلة المسطحة ويستعيد في زماننا العقيم نضرة الأشياء.

معذرة، فإننا غثاء وإننا في متحف التاريخ مومياء ترمقنا عيونهم ويهمسون كلما مروا بنا: "بقية باقية من أمة الصحراء"...

وهكذا هو نظرهم إلينا، فنحن نخاف غدًا والمجهول، وننسى ضعفًا منا كيف هو رب العباد بنا رؤوف رحيم.

تحرك، فأنت لست شجرة. لا تركن لمخاوفك، تحرك لا تخشَ ما سيأتي، فهو لن يكون بأقسى مما مررت به...

قلبي يكاد يتفطر لكثيرين يقفون بلا حراك أمام هول الغد، وخشيتهم مما سيأتي، وأنت سيدتي قد صبرت وصبرت، وتخطيت كثيرًا من صعابك وحدك أحيانًا، وبعضها تجدين من يواسيك ولا يحرك ساكنًا.

سيدتي،

رحابة المجهول حتمًا ستكون واقعًا أجمل متى ما تجاوزتِ ذاك الخوف والرغبة في البقاء في مربع الذكريات والأمنيات والواقع الذي صنعتِه لذاتك.

تحرري دومًا من خوفك وانطلقي، فعند غدٍ سيكون واقفًا حظك السعيد...

والدنيا حظوظ، وحظك حتمًا جميل...

ستتجاوزين الأشياء تلك، وذلك الذي يقف عند محطة الأمس وهو عالق يخاف المحطات التي لم يرها أو أن يسير إليها وحيدًا.

سننتقل ونعبر مهما كانت التضحيات، وسنصل إلى محطتنا، ما دام ثابرنا وعقدنا العزم على المضي. لا تخشي وحشة الطريق، والألم سيكون لك من الله جبر يستحق روحك وقلبك الشفيف.

وهي حتمًا (سر وعين الله ترعاك).

إلى بنتي حبيبتي

زرابي

وهي تسافر لأول مرة خارج بلادها

لتلتحق بكلية الطب

وترتحلين

ثم يأتي يوم صغارك يرتحلون إلى مجهول لهم معلوم لديك،

أو تدركين، صغيرتي، لقد قبعتِ هناك سنينًا، انتظرتُ هذه اللحظة لأكون قربك وأفرح بلقياك، حبيبتي...

وفي سابق سنيني وطدت عزمي أن ألقاك حيث تحطين رحالك اليوم، ودعوات من قلوب حولك بسلامة وصول، وأعين خضبها الدمع إذ جرى على خديك مثلهم...

حبيبتي، لعلي مهزوم بأكثر مما تشعرين، إذ لكم كنت هناك لأجل آخرين ولم تسعفني الخطى لأكون لديك...

صغيرتي،

لا أخشى عليكِ، فأنت شامخة كما هي إذ ربتك وقامت عليكِ سنينًا... وأنت نطفة من طموح وصلابة وعز وشموخ...

ستمر بكِ الأيام سريعًا، وستلتقي راحلتك أطيافًا من بشر يختلفون، يتسارعون جميعهم إليك، فالجميع مسرع لنيل غاياته. ستجدينهم جميعًا بما حملت أنفسهم من خير وسوء، سواء في إقبالهم عليك، مقاصد تختلف. وطود عظيم، أنت تأخذين السمين والغث تتركينه ليذهب جفاء...

لن أوصيكِ والدمع يغرق العين، بل أوصي نفسي أن أكون لكِ كما تمنيتُ أنا ورجوتِ أنت...

حبيبتي،

هي المعالي تسير إليك، فاسعي في مناكب الأرض وخذي علمًا به تستنير حياتنا، صغيرتي...

مباركة خطاك أينما حللتِ، كنتِ فيضًا من ذاتكِ العظيمة.

قلبي معكِ يا روح قلبي...

صغيرتي

قمري المنير

وإذ الخميس يأتي واعتلال قلبي لا يقل ولا أمل بشفاء... بئر معطلة وقصر مشيد... والعلة لقلبي سكونك في جميع جوارحي وجوانحي...

صغيرتي...

وكأن العمر، سيدتي، رهن يديكِ، فلا يتسرب منكِ، فمذ رأيتكِ يافعة لا يزال وجهكِ الندي والضحكة الطروب...

عند ذلك المقام، لا أزال أحتفي، فالدرة نفيسة وعوض كريم عن عينيكِ، محبوبتي إذ جافاني بهما البعاد، وما حط بذاتي يأس أني ملاقيكِ، فناهل من فيكِ العشق والجمال...

معذبتي...

ولما رأيت الناس يخطبون ودكِ، أيقنت أن الذهب السائل من شعركِ حينما تدلي، وما أنسكب أن طريقي طويل إليكِ، فشحذت همة عساها لا تخور، وبينك وبين خدرة المفرهدة، فوق جروفها ندية، ذات المكان كان لنا ولهم. كان لطه الهروب بعشقه خشية بهادل العول وحفظ ريا، فأراد أن يحجاها لدي مك مو نمر الخلا حاضن فروعوا مقيل دا النمر البضاير الصف محل ما يميل...

وكان لي أن ألجأ بكِ لنجاشي هذا الزمان عدلًا بأقصى الأرض، وكان لي أن أرتجيكِ ولاءً، تغيبين عني ما شاء لك الزمان، ثم يأتي السعد بكِ، والفرح هو الولاء، لا شك، وانتمائي لعينيكِ، وأظن أنكِ زوجي قبل ميلادي والوجود...

حبيبتي...

والحوش يجمع روحي، وأنتِ والنفاج يمر دارهم، فيربط على قلبينا، ونلتقي، وحين أتيتني على استحياء واختك لديكِ، توقف الزمان، وليتك استأجرتني ذاك الوقت لأقضي عشر حجج وعمري كله إلى جوارك، وأحمد إلينا وعمر مديد لديك...

معشوقتي...

والذكرى معيني في الصبر على فراقكِ والألم، عسى يكون لنا من غدٍ ما يسبر غور روحينا، فتسكن وتشرق بعد ظلمات في بحر لجي غصت فيه، فخرجت فيك منا زرابي، ونور تسبقه ألف درة وحجر كريم آرام، تزين ذات الطفلة قبل عشر ونيف من الأعوام قد مرت، وما زال الحنين

أو تذكرين؟ أو ربما لا تذكرين...

العذراء

عجبي لمن أهديت الكون زغبًا ولا تزال عذراء يحمر خدها حين تفلت مني كلمة تداعب قدها الأسيل...

عجبي وهي حين تمسك بعيني تطوفان حول نهد كتوتيل تكاد تزوي داخل ما حوى جسدها المثير من قماش، ولكأني أبصر على شفتيها المكتنزتين شهوة وصبابة، همهمات أتبيّن منها: "يا ليتني كنت ترابًا"، أو أظن أنها: "يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيًا"...

سيدتي

وما أن يلفح مهوي قرطها البعيد نفثات حري من فاهي المعذب بالجوى حتى تميد بها أرض تقف عليها، فلا تجد إلا كتفي متكًا. حينها، ودقات قلبها تكاد توقظ النيام من جوارحي بعد طول سبات...

صغيرتي

حينما شدا المغني بحليل أرض الجزائر، والطنابير الترن حليل ناس (...). ساعة الليل يجن... وليلي شعرك الحالك السواد المشرب في بعض خصل ذهبا يلمع على انعكاس أقمار واسعة تنظره أعلى أنف أفطس وأقني، بينت ملامح جمال قروي وساحلي لا يكون إلا لديك، معشوقتي، ليلي هو ذاك حين أدس أنفي لأشم ذاك العبير من شعرك المنسكب على كتفيك فتنتابني رجفة المحب، فيتعطف ساعدي ليطوي خصرك النحيل، وأشد وسطك إليّ، فيذهب عقلي سكرًا بك، وهو قد لفظ الكحول جميعها حرصًا عليه...

السمو أنت
وأنت بين ذراع يلتف حول خصر، أخشى عليه أن ينكسر، زي السويس رابط بحور وموصلها، وذراع تخلل شعرك تارة، وتارة ترتاح عند كتفك، وأخرى تميل رأسك إلى الوراء قليلًا، وأدنو لألثم فاهك وشفاهك مطبقات، يرتسم عليها ألف سؤال (أو تحبني يا علي؟)، وارد عليك دون أن تنبسي ببنت شفة، بصوت لا تخطئه تهدجه أذن: (أعشقك روحي واذوب هوى فيك، عنقاء عمري)، فتنفرج شفاهك عن در رص بحذر خشية أن يتساقط فيغتني من مشي على أرض أو تعلق بالسماء...

محبوبتي
تقارب الشمس على الانبلاج، فتحتفين بخطاك قافلة، وأنا من خلفك أردّد ما قال طه حين ذهبت ريا وتركته خلفها...

يا ريت السعادة إن كانت بقت إيديه
كنت أعيش غني في الدنيا بالزنديه
علي حكموا ناسي الفى أخذوا الديه
أموت بالعطش والمويه بين إيديا
آه يا ريا قاسية وزايدة في التفنين
آه يا رب ارحم صبري أمس ضنين
يمحق دي السنة ربي الحليم وحنين
يخصمها من حياتي رضيت بعشرة سنين
كيف أتهنى وأعيش وأنا صبري ولي مودع
سبي الرخرخ من قام صغير متفدّع
جنيت وجنى جنّ وحالي أصله مبدّع
أهج شقيش أهج فاضلي تاني أجدع

وأنا أرى ذات الرخرخ وهو يمشي العريني كما يمشي الوحي الوجل، وقد أثقلك ردف وهزت مأكمة جانبيك، وساقا كساريتي بلنط أو رخام يرن خشاش حليهما رنينًا...

وأشد ساعد على المجداف، أحلف بيك أغير سكة التيار، وأقول يا إنت يا أغرق...

وأرتب أوراقي لأكون على أول رحلة إلى قلبك، أجيئك فنان، مقسم قلبه في الأحزان، أشد أوتاري، وأحكي لك حكاية إنسان وهب لسكتك نفسه... وبحبك.

للرجال فقط

عام جديد

وحيدون في هذا العالم

وفي مرثية آخر العام أبكي وأندب حظ... ففي كل عام نسأل الله أن يكون آخر الأعوام حزنًا

إلى رجال مثلي يقضون هذا اليوم بعيدًا عن من يحتويهم ويؤنس وحشتهم...

إلى أولئك الذين يمر عليهم كل عام كهذا، يبتسمون لإسعاد من حولهم ودواخلهم خواء

أهلهم بعيدون

ذويهم ليسوا معهم

نساؤهم مع حياتهن

أطفالهم ليسوا بقربهم

ولكأنهم إحدى صرافات بنك يلجأون إليه فيستزيدون منه ويلقون عليه تحية، وبعدها سلاااام، ثم لا يلبث أن تدور الساقية

في كل عام كنت تدور، ثم تدور، ثم تعود لتسكن شاطئيك، يا سيدي الرجل، وأنت هناك في ذات المكان، عشرات الأعوام مرت عليك وأنت كالطود العظيم، مليء صبرًا وقيحًا ووعدًا وتمنيًا ولا مغيث ولا أنيس ولا أحد...

عزيزي الرجل

في بداية هذا العام لن أمنيك بالراحة والسعادة ونهاية الآلام، فلا راحة لمؤمن حتى يلقى الله، بل زد من همتك وتوقع الأسوأ، وكن جبلًا وحمالًا للأسى وصعاب الأمور...

لن تمطر ذهبًا ولا فضة ولا قول حنين ولا عطاء من أحد سيفيك حقك من وحدة وشقاء، وسيكون العام كما سابقاته، عنت وتعب ورجاء وأمل، ثم لا يلبث أن ينقضي...

إلى أولئك

المنكفئون على أحزانهم، هذه اللحظات الغارقة مدامعهم بشوق لاحتضان ذويهم وآلهم...

الباكون من صراع الدواخل ينتظرون عطفًا وكلمة مواساة من حبيب أو عزيز أن تأتيهم بلا شك، ولكنها الأماني...

النازفون دم التودد رغم أحزانهم تراهم ضاحكين، يزرعون آمالًا بغيرهم، يسعدون لسعادة غيرهم...

إليكم جميعًا وأنتم تعلمون أنفسكم جيدًا

أعلم أي رهق أصاب أرواحكم، وكم تعرّت أنفسكم من كل جلد...

إليكم وأعلم ما أقاسي ويقاسيه غيري منكم

لعمري أنكم في المكم ماكثون، ومع كل هذا وذاك أثق في أني ساري ابتسامتكم، أنتم فقط

أعزائي الحزانى

في عام ليس بجسدي، بل نسخة مكررة هنا سبق من أعوام، لكم مني كل الحب

و.....

عام ليس بجديد

الألم اللذيذ

سيدتي
أنت سفر من كتب سماوية قدس سرها وما اطلع عليها إلا قليل... مولود من رحم المعاناة والتضحيات أنا وقدري أن أظل حبيس تلك العيون التي تأسرهم حين يمسون وحين يصبحون...

معشوقتي
وأنت حلٌ ليداي، تفعل ما تشاء، تمر أناملي باردة الأطراف على جسدك، فتثير تلك القشعريرة، فتسري منك إلى سيدتي، فأذوب عند بابك، وأرتجي فيضًا من عطف يكمن بداخلك، لأفتح الشوق على مصراعيه، فتستبدلين الذي هو أدنى ثلج ينزل عند بابك بدفء صدري وهو أعلى...

معذبتي
والوصل منك مباح، والسفر إلى أرضك حرام، ولعلي باخع نفسي على آثارهم إن لم يؤمنوا بما آمن به بنو آدم جميعهم، أن لقائك هو الغاية والسبيل، وهو المرام، لنجعل ما على الأرض زينة لنا، ولنبلي أينا يحسن عملًا...

محبوبتي
ميساء القد والقوام، أو تحسبين أن أصحاب العشق والغرام كانوا من الآيات؟ عجبًا وأنت ترين أني أويت إلى كهفك، وسأوي ما شاء ربي سنين عددا، حتى تأتيني من لدنك رحمة، أو يهيأ لي من أمري ووصلي إليك رشدًا...

رائعتي
هو العذاب بعدك والضنى، وهو الجمال تلوعًا وشقى، فعيناك وإن خلدت لنوم بعيدًا عني، فأنا شاكر لربي طرفًا من ليل وغداة نهار، فألم

بعدك راحتي أيضًا، وعذاب فراقك روضة حب استجير برمضائها عن لظى هجرك بشاسع الأماكن والمسافات...

صغيرتي

وثلاث كانوا منك، هم قناديل ضياء في طريقي إليك، وعلامات، وبنجمهم نهتدي، ليكن لنا ما شئنا، ولو كان سفرًا قاصدًا، أم يكن غيرنا بالغة إلا بشق الأنفس؟ فإنا نشرب إن وردنا الماء صفوًا، ويشرب غيرنا كدرًا وطينًا...

إليك ترحالي وسفري، وقران بيننا كان على سنة وهدي، سيكون منجاتنا حين تضيق الأنفس وتعلو القلوب كدرة الفراق، ورغمًا عنه كله يسكن بالجسد ذا العذاب

شوق وهياج ورغبة وسكون حين أراك، وحين يأتي همسك الدفيء: (أحبك علي)، وحتما ستزيد وسامتي، وأحلق في ذرى السحاب، وسأنزل إليك قطرات من عشق، أن تلبث أن تفتح ميازيب السماء، فتغمرك عشقًا، وتسيل وديان من جمال وهناء وسعادة وانتماء

خيال الكري

زار الخيالُ خيالُ عَبلَة في الكرى لمتيمٍ نشوانَ محلول العرى
وعنترة ينادي، ولكأنه يصف حالي حين أذوب جوى وعشقًا، وتهفو روحي لمتيمتي، فأسرج خيل فكري وعشقي، علها تزورها، وهي مسجاة على زرابي يميد جسدها، فيبين من ثنايا جيبها، والفرع منها منسدل، بياض ثديها مشدودًا كفتاة في التاسع عشر من أعوامها...
سيدتي
ممددة على قلبي ووثيرها... وأرقبها وأقربها فتقر عيني بها، وأصير بها إمامًا، أشد طولي على منبر الهوى، وأخطب في جمع المصلين: أن العشق محمود، فعيشوا عاشقين، محبين ودودين، واقربوهن ثيبات وأبكارًا...

اقحوانتي
وقد كنتُ أشكُو ما لقيتُ لبعدك، وما أن قربتك تنفست مسكًا يخالطُ عَنْبَرا.
طيب شذي لا تجده إلا في عبل، ومعشوقتي خليطًا من أقحوان وشقائق النعمان وبعض محلب...
محبوبتي
والشوق قد غلب، فضممتك كيما أقبِّلَ ثغرَك، والدَّمعُ من جَفنيَّ قد بلَّ الثرى.
فنفرت كريم، يخشى الوقوع في براثن صياد، وما علمتُ أنني من صِيد بعينيها فخر صريع الغرام، ويمم شطر بيت يلوذان به، وما أن سكن بها

حتى وجد العراء والصقيع، والعالمين ينظرون على استحياء، هاؤم العشاق...

سيدتي

وكشفتُ برقعك، فأشرقَ وجهك حتى أعادَ اللَّيلَ صُبحًا مُسفِرًا، عربيةٌ يهتزُّ لين قوامك فيخالُه العشَّاقُ رُمحًا أسمرا.

محجوبةٌ بصوارمٍ وذوابل سمرٌ، ودونَ خبائها أسدُ الشرى.

يا عَبلَ إنَّ هَواكِ قد جازَ المَدى، وأنا المعنى فيكِ من دون الورى.

يا عَبلَ، حبُّكِ في عِظامي مع دمي، لمَّا جرت روحي بجسمي قد جرَى...

معشوقتي

وعنترة يغازل عبل، هو يحكيني، فالنوق العصافير بأرض الحيرة، هي الطريق ذاته إلى أصقاع وغاب. سأتيها فيهم، ولو بعد حين...

وأنا قد شددت العزم أن أكون بأرضك، المس صفحات خد أسيل، أُريح رأسك المتعب على صدري، وأسلك يدي بيضاء من غير سوء في ذات الجيب، لأذيب طراوة على صدر عامر بمحبتي، رجراج بما حمل...

معذبتي

وخطوكِ إلي هو زادي، وموعد منك وضحكة ترج ما بقي من ثبات روحي، بعد أن توجهت تلقاء مدين علها تفارق فتؤوب إليك مرغمة وراضية سعيدة بما حظيت، والنهي والسلام بك ومنك وإلى...

أيًا أرض العرب جميعها من مغرب ومشرق، بلغوا عني فإني صريع جيجل والفرات ومقتول شام ويمن وذبيح رفاعة وشط المتوسط...

محبوبتي، أغدًا ألقاكِ، يا ويح قلبي من غد.

منبع المشاكي

وأنتِ بعض مني، وكل... سيدتي والفخر يذهب ما بعقلي وجنَانِي، والثبات يستحيل حين آتيك في منامك زوجتي...
آتيك بضع لحظات وتكفيني... إشراقة فجر عينيك عندي تهبني سعادة أعوامي، وأنتِ عمري، ولأن العاشقين يذهبون (منبع المشاكي)، يذرفون الدمع ويرجون الوصال، ووصلي بك حلم يراودنا، والطريق إليك وإلى المنبع بعيييد، حبيبتي...
معشوقتي
نهلت من عينيكِ ذاتي وصبابتي، أتتك تمور تطفئ بداخلك حرور توق ورغبة أنثى...
آتيكِ سيدتي جاثيًا وقد انتبذت مكانًا قصيًا، وأصابعي تتلو صلواتها لدي ساريتي بلنط أو رخام، وشفاهي تردد ترانيم عشقها عند نهد وعناب...
تأتيك روحي وهو تطوِّف مذ خلقت بذات الدرب إلى (الحي الأمامي)، وتؤوب وهي ممتلئة بك حتى غازلها الناس في الطرقات....
حبيبتي
بين يديكِ يكن مقامي، وعند صدري يكن السكون، والعشق سيدتي امتزاج النفس بالنفس كما امتزاج الماء بالماء، عسر تخليصه، والنفس ألطف من الماء، وأرق مسلكًا، فمن أصابه مثلي لن يزيله مرور الليالي، والجوي علة نهل وداؤها أنتِ، أو كما قال بن حجلة: يؤخذ ثلاثة مثاقيل من صافي وصالكِ حبيبتي، منقاة من عيدان جفاء الحبيب، وخوف الرقيب،

وثلاثة مثاقيل من نوى الاجتماع، منقاة من غلة الهجران، أوقيتان من خالص الود والكتمان، منزوعة من عيدان الصد والغفران، ويؤخذ عطر البخور، ولثم الثغور، وضم الخصور.....

معذبتي

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا، على أن قرب الدار خير من البعد...

لثمت نهل شفاهك مغلي بماء المحبة، على شراب الأنس بك.. وبخور الطرب لرؤياك... وما شراب الرضاب إلا لذة العناق، وأنا مستوفزًا، على أطرافي، لا أهتز، أضمك إلي... أقبل واشخر وأنخر حتى يفيض من شوقي ولا أزال في رهز ورفع وزعزعة لا يقر لي حال حتى آتيكِ محبوبتي...

مولدي عينيك

وهزي إليك بجذع النخلة، تساقط عليك رطبًا، وروحي وغد مولدي من رحمها، وقلبك والسلام علي يوم ولدت ويوم جوارك أيضًا...

وقد خلقت ولم أك قبل هذا شيئًا، ودخولك بين صدري ويدي جعلني مباركًا أينما كنت، ومحظيًا بعشقك ورقصك إلي يزيد حماستي فأخطفك بينهم وأسير إلي مضطجع يأوينا فنرتوي ونظمأ حينها أيضًا.

مولع بك

هل آوي إلى جبل يعصمني، أم مغارة عجيبة، أبثها عشقي، أو أشد عزمي وآتيك فردًا، أكلل وأختم بك عمري.

وغدًا مولدي، وغدًا نكون كما نود.

وذات الفتى، أنا وهي ذات الملامح، التقيتك بها وسآتيك بها.

البعث في الدنيا

معبودتي...
وعشرون يومًا من مطلع العام، جئت لهذي الدنيا لأكونكِ أنتِ...
جئت ساميًا، وفي جبيني العنقاء ذات المستحيل، وعين الرجاء وقلبي...
كنت قدري، وإن منَّا من ليبطئن حتى إذا أصابت مصيبة قال قد أنعم الله علي، وقد أصابتني حتى نعمت بكِ حبيبتي...
سيدتي...
أينما تكونوا يدرككم العشق والحب ولو كنتم في بروج ومروج، ولا نساء، وقد أتيتني في عزلتي وكهفي، فأصبت قلبي بسهام عيناكِ، فصارت جزائر جسدي كبازلاء، إذا جمعتها كانت أنتِ، وإذا فرقتها كنتُ أنا...
حتى رآكِ القوم قالوا طاعة، وكنت بيني والموات حياة، وروحًا قذفت في داخلي، لأكون في عشرين بين يديكِ سيدتي...
معشوقتي...
وأنتِ قربي تفضحني خفقات قلبي، وجسدي في ارتجافه، جسد عارٍ في صقيع لندن، وفيها بعث روحي والحياة...
وشادد ساعد على مجدافي من أعوام عشان عينيك يا السمحة، وعشان بنت نوارة الأعوام، وزينة ساعاتي والأيام...
معذبتي بالوصل...
والوصل حرام بالبعد والغياب، وحلال بشرع الله والإسلام، وروحي تنزع للخروج، لا تقوى على شقوة الجسد، وزوجتي مرام نفسي تعد كوب قهوتي، وتكنز الفرح ليوم تأتيني فيه لتقول: أنت فخر الروح والسنوات، وأنت الأرض لي، والسماوات، وكل عهدي ملأتني، وسددت ما بي من ثغرات...

مبارك ميلادي حين تكونين حضورًا سيدتي، وأنت وحدك من جسدت يومي بكِ، لمست عيناك لففت ساعدي على خصرك النحيل، وضممتني إليك، فكيف أكون وحيدًا وأنا بكِ، كل رجال الدنيا، وسيدة نساء الكون بين يدي...

وجيدتي...

استعصت الحروف، ونشزت، وما انصاعت هذه الليلة لتكون تحت أمري.

ولكم عجبت، فالثمان وعشرون حرفًا تسوح في حديقة فكري صباحًا ومساءً، وما تأخرت علي يومًا، وعاندتني اليوم، فلذت بالمطبخ السوداني القديم، دخلت التكل، شديت ناري في حجر الصاج، واتحكرت أكتب...

سيدتي والحب إليكِ دوما هو الغذاء والشفاء، والروح التي تبعث فيني الحياة، لكِ ولهم، كوني كما تمنيت وكما تشتهين.

ودومًا أنا هنا.

انبجس القلب

إلى إفروديت، العنقاء، ليان، ذات الفلجة، اللثغة، وأخريات.

وإذ مطرقة الجمال تضرب على قلبي، فانبجست منه تسع أعين قد علمت كل أنثى مشربها ومفردها وجمعها، وقلبي يطوف بالجمال وبستان نضير...

وثلاث يذهبن الحزن: الماء، والخضرة، والوجه الحسن. ولكلٍ اشتراطات ثلاث: فالماء عذب غير آسن وقراح، والعشب قصير وبامتداد واسع وعليه طل، وحسن النساء ثلاث: فلجة أو لثغة تبدي ميل حرف ويضيع قلبك كما سين الثمر... وشامة تزين خدًا أسيل أو قابعة تحت شفاه مكتنزة... وحين تيأس النساء فتبلغ من الكبر عتيًا وتجعد القسمات، ينير وجهها غمازة (نونة) بخدها الضحوك...

وما يُذهب حزن الأعراب والجميع لا يُذهب مني مخاوفي بالرحيل، وصوتك الدافئ يرج قلبي. وقبلكن هو جدد بيض وحمر وغرابيب سود يعطي كل حين، وما وني ولا تعب ولا اشتكى، وأنتن فقط ترتحلن هكذا... فسعادتكن دومًا هي المبتغى، وهي ما آليت جهدي ليكن لكن. بيد أني (أبجيقة) من بادية تعشق ملاح أم تكشو وأم بقبق وأم شعيفة وكُرّات الكسرة والفتريتة، وحين عز، قدّم الحمام...

لم يعرف قلبي طريق المكسرات وبعض أطعمة سميتموها بأسماء ما وجدتها في الأولين والآخرين...

وقلبي نقي لم يحمل حقدًا على أحد أو بعض حسد، وروح شجاعة لن ترتعد خوفًا من غدٍ ولو تساقطت عليها ثلوج كالقري ولندن...

معبودتي...

وأنا الترقب وانتظار المستحيل، لم يقف قطاري عن الرحيل، فالمحطات تتشابه وإن علا بنيان بعضها وازدانت بخمر وحرير، فستبارح بعد حين.
وقدري أن أسير مرهقًا بحمل عسير، أنفث الآلام من مدخنتي، وأنفض الرماد، ولا يُسمع مني أنين وشكوى وصدري بذات الصفير...
وبف بف... وقام يا يمة قطار أقداري، وكان متوجهًا لأمونة وذات اللوحة.
أكاد أرى في توقيعك عليها رسمي واسمي ويوم الرحيل...
هكذا أنا ملجلج بين فاهها وحملها الثقيل... وخصرها النحيل قد أرهقته صعودًا عند (الجيم)، وعصفت به قلبي اليتيم...
لكم أشتاق أمي بعض حين، فعذاب التنقل قد أرهقني، وأود أن أستريح...
لعلي لم أفهم بعد ماهية النساء لعلي... فأنا ما وجدت أمي لأتتلمذ على يدها وهي مبهمة كظلمات بحر لجي يغشاه دلال، من فوقه غنج وبعض اشتياق، وهي علامات لأناس بنجم يهتدون، وأنا غر ساذج أحمل قلبًا شفيفًا فقط...
هي مدججة بأسلحتها... راجمات عينيها تصيب الجميع، ومدفعي صدرها حين يبرزان يصرعان من تمترس خلف حصن قلبه الشفيف، وفاتكات جيدها النضير، وصواريخ عجزها المثير حين تهتز فتربو الأرض وتنبت خيرًا وخضرًا وثمرًا...
وأعزل أنا أمتطي صهوة حرف وقلب رهيف، فحتمًا أنا خاسر وهكذا كان المآل... وأتى الخميس ليعلنني وحيدًا إلا من خبر تحمله نهي الأيام بسلام قادم...
أو أن مصرعي قريب...
ما أقسى ليالي الوحدة والسقام، ويدًا بيضاء تمدك عقارًا عله يذهب ما بي ولم تدرِ أني محطم بعصبية التوتر والشقاء وخوف اللقاء...
وليس لي إلا وداعًا، وعسى نلتقي...

نصف إنسان أنا...

معشوقتي...

حينما أسموا الشريك (نصك) فقد صدقوا، إذ قاربوه بالجسد والروح ونبض القلب ودفق دماء وشهقة أنفاس تنازع ليلج عبيرك رئتاي، فتؤكسد المحبة بعطرك ويعود إلى قلبي الخفقان...

وخافقي وأنت هناك يتوقف كل حين حتى أجلس إلى ورقي لأكتب وصيتي كل خميس بأن تعهدوها بالرعاية، وأجعلوا جميع إرثي وما كنزت... ولي في هذه الدنيا أنت فقط. وإذ أنت جواري، فأنا مالك الكون وما حوى، وبعيدة عني فمعدم فقير أسأل الناس عطفًا وبعض حب أتكففهم، أعطوني أو منعوني...

ذات...

وأنا أنازع الحياة للبقاء، علّ أجتمع إليك ذات...

فيجيء صوتك تذروه الرياح غاضبًا مزمجرًا أو راضيًا، فهو سواء. وقادر على بعثي من جديد...

تحضرين بذات الأقنى الذي به فُتنت أنا وأعراب الجاهلية الأولى، وحظوة صفوة الخلق وعيسى حين يعود ليخلص النفوس من الأعور الدجال...

تحضرين وروحي تنزع للخروج، عساها تطوف بأرضك، فترى قبسًا من ضياء وجهك النضير وجسدك المثير، فتهدأ تؤوب إليّ أو ترتحل عني. ما عدت أبالي، فبغيرك الناس أنصاف وأنا عدم...

حبيبتي...

الناس تبحث نصفها، وأنا المتيم قد نحرت فؤادي أرتجيك، وأنت (كُل)، وهم سيدتي. إذ يريدوا خيانتك، فقد خانوا قلبي من قبل، فأمكن منهم. وعشرون أمس هي أنت: البهاء، والنقاء، والجمال. أي نعم، أنت كل،

فالنصف ما عداك من نساء، والنصف ما تقوم حياتي بغيره. ولولا كتاب سبق لمسني فيما تركت، عذاب عظيم، ولا حياة لي بغيرك نصفهم وكلّي...

مرجوتي...

أجعلتم سقاية الروح وعمارة القلب ما برعت فيه النساء والخوادن كمن غمر قلبك بالإيمان، وجاهدت فاحتلت الروح واعتلت الجسد، ثم ضربت على صدرها: "إني أنا... فمن أرادت ثكلي أمها فلتقرب (علي)..." لا يستوون. فسيدتي وإن هلكت ببعدها، تظل أملي وعشقي المفقود...

معذبتي...

إن آن آنٌ آنَ وقت رحيلي، فأنت لست إلى جواري. واعتلالك سيدتي أعجزني. ولسيدة الأطلال أصيخ سمعي: "أغدًا ألقاك يا ويح قلبي من غدِ..."

فيا لهفي وأسفي على روح تمزق نياطها ببعدك، وعساها بالرحيل إليك أو من الدنيا تشتفي علّاتها، ويك السكون خاتمًا...

سكني معك أو التراب...

للعشق يوم...

معشوقتي...

خيرٌ لنا ذكور الأرض أن نضحي بخراف ننتقيها كل يوم. ففداء إسماعيل بكبش أقرن حين تلَّه للجبين إبراهيم عليهما السلام، فأتاهم الفداء...

حق علينا أن يكن كل يوم فداء للنفس وهي أعز. ولكنه يوم واحد فقط في كل عام يزورنا لنقدم -إذ استطعنا- كبشنا ونجدد العهد لله فرحًا وطاعة...

وأمي (رحمها الله) أمرت بها إحسانًا، ووالدي... كل يوم. وعلى خفض جناح الذل من الرحمة كل يوم... وألا أنهرها وأقل قولًا كريمًا... ولها يوم أحتفي بها فيه وأعتذر، وأقدم الولاء والعهد والشكر لما تحملته مني...

والعشق كل يوم، والحب... ولكنّا أيضًا نخصص يومًا لنقدم قربان الهوى، معذرة عما أسلفناه في عامنا الذي سبق جورًا، تجاهلًا، غضبًا، غيرة عمياء...

إذًا، في يوم عشقي أقول: معذرة حبيبتي عن كل سوء أصاب قلبك مني، وعن كل ضيم وحيف اقترفته يداي...

وأجدد عهدي وحبي، وأرجو أن يكون عامي القادم في كنفك حبيبتي أنت...

وسأخطئ في حقك، هذا ليس ببعيد، ولكني سأجتهد نفسي أن أعشقك بأشد مما فعلت عامي السابق... وعهدي احتضان عيناك وجسدك... وأن تكوني تحتي فعلًا ويمتزج مني بك عرق وصبابة، فيتسرب جمالك وألقك في مسامي وأكون سيد المحبة...

نعم، إليك أنت:

عام سعيد...

وحب مجيد...
وعليّ لك وحدك،
ولنساء الأرض جميعًا كل الحب...

نهاية!!!

هكذا هي النهايات، برغم حرصك على وجود الآخرين في حياتك ورفضهم، تأتي...
الحياة لا تُبنى من اتجاه واحد؛ هي روح تكامل، والأنثى كما شاء لها ربها هي مؤنسة وحشة، لا خادمة ولا سيدة؛ هي شريك...
سيدتي،
سنوات طويلة من الانتظار لم تُسفر عن شيء، وللانتظار فعل السحر في خلق الهواجس والظنون. سنوات الانتظار تعطل الروح والعشق والحب، ويبقى عطاؤك للمتمرد على إله ودًّا وسهدًا ونكران ذات...
سنوات الانتظار شعرت فيها المرأة التي وُصفت بأنها أجمل نساء الأرض بالحزن والقلق لأنها لم تُنجب ابنًا يكون سندًا لها ولزوجها، ويدخل السرور إلى قلبه. فكرت، رغم المحبة الكبيرة في قلبها لزوجها، أو ربما بسببها، في حلٍ كي لا يُحرم زوجها نبي الله إبراهيم الذرية الصالحة. ترددت كثيرًا وهي تنظر إلى هاجر وتفكر بها زوجة لزوجها بعد أن عرفت عنها حسن الأخلاق والأدب الشديد منذ وهبها لها فرعون لتكون في خدمتها...
نعم، سارة كانت أجمل نساء الأرض حتى فُتن فرعون بها وراودها عن نفسها، وفي أعظم قصص الحياة بعثت الأمان إلى قلب زوجها إبراهيم عليه السلام إذ شُلَّت يدا فرعون كلما أراد سوءًا بها وعصمها الله. فقد سارت بين العالمين عاشقة ودودة.
والفراق، سيدتي، ليس فراق الجسد؛ فالأجساد تتحرك وتسعى في الأرض، والفراق كلمة سوء وقبح تسمعها لمن يهواك. وجعل الله بينكم مودة ورحمة وسترًا وتشاركًا.

سيدتي،
ورغم أنها أجمل نساء الأرض التي فُتن فرعون بجمالها، كانت غيرتها تجعلها تتراجع كأي امرأة، وتخشى أن يهجرها إلى الزوجة الجديدة وينصرف عن محبتها إليها. لكنها قست على قلبها وأخرست وساوسها، وطرحت على زوجها الفكرة بعد أن غادرها الأمل في أن تكون أمًا يومًا ما. قست على قلبها وروحها وجسدها واحتملت الكثير... ثم ما لبثت أن تنكرت مرة أخرى ولاذت بحمى قلبها بعد حمل هاجر، فأمرت إبراهيم عليه السلام بإخراجهما هي وابنها...
تعقيدات الحياة غالبًا ما تقودنا لعدم فهم الآخر، فنرد موارد تقود إلى كراهية مطلقة تكاد لا تجد لها مبررًا...
سيدتي،
والعشق يتسرب إلى الروح ويغادرها، ويبقى بين الآخرين وداد السنوات، ورحمة اللقيا، وشغف الوداع...
والمركب تغادر إلى شواطئك بعد ترحال عبر كفر ورياض طواها الألم وحلم السفر إلى أستراليا، قارة معزولة. لا تلبث أن تعود من حلمك لتستقر في شط الأبيض نزولًا عند رغبة آخرين وقلبك...
سيدتي،
ومن حولك هم أهلي وودي، وما يكون لإنسان ملام لإكرامك لهم؛ فهم بعض منك وبعضك أنت. وما الغضب حينها إلا نار ستحرق منك غفرانًا ونجودًا تلوذين بها وابن بخيت...
سيدتي،
وسارة، من قضت عمرها عشقًا وولهًا ورجاءً، لم يُخيب الله ظنها، وصارت أم الأنبياء... ولله قضاء لا نرده، ولكن الفراق فراق الروح لا الجسد، سيدتي... والألم حرمان الرجاء وانقطاع الأمل، والسكينة أن

تركن لما يكون بك... والدنيا معبر، وإلى المستقر ستميد بك الأرض وترتفع، ويكون لك منها ولها منك...
والقول رحمة ولطف وتهذيب وجمال خلق...
سيدتي،
هذا آخر قولي...
لا تُقفلوا الأبواب في وجه من يحبكم...
وأتمناكِ بخير، وكوني كما تشائين لذاتك.
وعذرًا، فمعظم النار من مستصغر الشرر.
وحتى يأذن الله ما يريد، كوني النجمة.
ووداعًا وبس.

اليوم العالمي للمرأة

مارس الأبيض

البارحة، أخذت قلمي وودت أن أكتب إليكِ، سيدتي، فالفخر يأتي حين يكنّ لكنّ ولكِ، شهر فيه يُعز مقداركن ومكانتكن...

أكان للناس عجبًا أن كتبنا لهم أن بشّروا النساء أن لهم قدم صدق في هذا الشهر...

مطلعه قَدِم إلى الدنيا صنوي وعضدي، وفي ثامنه عيدكن ويومكن، وفي عاشره كان لريان حظوة ومجد، وكان لي فيه السند والثبات...

هو الذي جعل لنا النساء ضياءً وقمرًا منيرًا، وقدرهن منازل، وجعل لهن مراتب. فإذا كانت طفلة تحبو مدت يديها لتلامس خديك بحنان ولين، ثم إذا مشت جرت إليك تنظرك أمانًا لها، فإذا بلغت مبلغ النساء كانت اللطف والعشق والجمال والحب والوله...

سيداتي،

وحين آدم خليفة في الأرض جُعل له من نفسه شريكًا وسيدة مؤنسة لوحشته، تحمل عنه وعثاء سفر ونصب، وتذهب عنه جوعًا وظما، وتشبع رغبة منه وشهوات وفكرًا نيرًا، لا تجاوز له كَثبات خديجة حين التدثر والسؤال (اقرأ)...

وحين راودته التي هو في بيتها وألفيا سيدهما لدى الباب، ما تلجلجت وبادرت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا؟ أيا حواء، ما هذا الثبات حق وسواه؟ ... ونحن ضائعون بين سطوتكن والحنان، وبين أيدينا نزاع وتوق لا ينتهي إليكن، وشارب يميز ما نكنّي به، وفعل قاصر عن قاماتكن أبد الآبدين...

أجرجر خيباتي وفشلنا جميعًا في وئام نبلغ به مراميكن فتسعدن، ولكنكن شقيات بنا. ورغم هذا، تضحكن ويصيبكن حزن علينا ولنا، ونغمر بعاطفة منكن وحبًا وما استحققناه...

سيدتي،

وميلادك هو مارس العظيم، وكل الأيام أيامكن. فأنتن سر هذا الجحفل من الوجود، وسر هذا التمرد العظيم، وفي بعض حين، سر الطاعة العمياء. فطوبى لكنّ يا مارس، وطوبى لمارس بكِ سيدتي...

نبكي حين تنأى عنا عيونكن وجسد مثير، فإذا عدتن ونجونا من كرب فقدكن، إذ نحن نبغي في الأرض بغير العشق والتذلل، فنغتر ونهين وجودكن. وإنما هو بغي على أنفسنا. فأنتن متاع حياتنا الدنيا، وعندكن ملاذنا ومرجعنا فيها، فتقبلن قصورنا عنكن وتعالين بعض حين...

إليك سيدتي،

لكم يطيب لي المقام في حضرة جلالك، عند قدميك. مهذب أمامك يكون الكلام...

يا من (تداوين فيني الجرح بالوجود لا بالكلام)، فلحضورك طغيان وعظمة، تتضاءل ذاتي معها، أو بالأحرى هي تذوب عند لهيبك المقدس وروحك المهيبة...

إنه شهر ميلادكن جميعًا، ويومك أنتِ، ملهمتي...

سيدتي،

وقد أضناني البعاد، وشهوة الرحيل إليك تزيد كل صباح، وأنا على يقين بلقياك. وإيماني بكن يستنبئونني عليه: أحق هو؟ ... فأقل: إي وربي، إنه لحق، وما نحن جميعًا ذكورًا بمعجزين إذ عملنا لراحتهن وإسعادهن، فالقادم منهن بعد سعادتهن جنانًا وفراديس ستعيش فيها. ولكن...

وحتى تدعني لكنّ، هذه أتبتل شهري في محرابك، سيدتي، وأطمح باحتضان عينيك. وعهدي إليك في شهرك، سيدتي، وعند يومك العظيم أن أخط لك كل يوم حرفًا، فلا أملك ذهبًا وكنوزًا أتقرب بها إليك زلفى...

إفروديت،

لا يحزنك قولهم، فالعزة بعد هذا جميعه لك، والفوز وحسن المآب...

وفي هذا الشهر، ويومك، حبيبتي وسيدتي وأميرتي وقلبي المصون...

أقدم اعتذاري عما مضى من سابق الأوان، وعن ظلمي لأي أنثى في هذا الكون وحيفي، ووعدي أن أصلح ذاتي ما استطعت إلى ذلك سبيلًا...

ثم بعدها يمكنني أن أقول: راحل إلى جزائر وبحار ليس فيها إلا عنقائي وأنا...

نساء في حياتنا

ويوم أمس كان يومًا عظيمًا في تاريخ الحياة، فيوم المرأة العالمي يشيع بهجةً في أنفس كثيرة...
أطفال يكبرون في كنف أمهات جزيلات بعطائهن، صبورات على ما ينغص صفوهن ويكدِّر عيشهن...
رجالٌ هانئون بصحبة نساءٍ يزيدونهم قوةً بما يتشاركنه معهم من همٍّ ومسؤولية وضغط حياة...
آباء فخورون ببناتٍ لهن، أدركن علمهن ورفعن رؤوسهم بين الأشهاد قائلين: "ها أنا ذا يا أبي، فَسِر بين الناس بخيلاء."
كلنا مباهٍ بهذا اليوم، فنحن أحد هؤلاء...
ولأن اليوم يومهن، سأكتب عن معاصرات حسب رؤيتي لهن، وليكن مدخلنا الشاعرة الناشطة اجتماعيًا:
داليا الياس
كتبت الشعر ونافحت، فصنعت لنفسها اسمًا بين النساء والمجتمع.
عبرت عن ظلم مجتمعي منَّا معشر الرجال بعدم الاحتواء والتقدير.
وعطفًا وجب علينا أن نغدقه عليهن، وأُمرنا أن نكون متاعًا لهنَّ كما نحب أن يكنَّ لنا، فكنَّا الشدة عليهن.
أنثى لا يدرك عنها بعضهم وبعضهن غير حملة تنكر واسعة تعرضت لها في معرض تناولها لأزمة لا يدرك كنهها إلا هن.
صمدت داليا الياس، وخاضت من أجل ذاك الصعاب، وظلت روضة فيحاء تفيض على المقهورين والمستضعفات. تنظم القريض، وتكتب لوعتها وشجونها، وتسعى في عمل الخير كأنها تعين ذاتها، تدرك وبعناد

طفلة أن عليها حملًا لا ينفض عنها، وتحمله وهي في ذات البهجة والسعادة.

في يومكن داليا، أنا آسف عن كل ما أصابك منَّا في وقت كان حقًا علينا أن نقف إليك. انتصرنا فيه لذكوريتنا ولم نركن لرجولتنا وقوامتنا، فخذلناك...

الدكتورة ميادة علي أبو عفان

تخرجت في جامعة الخرطوم متخصصة في النساء والولادة، اتجهت للصحة العامة مرتكزة على رؤية تحوي أن العون الذي يفيد منه المجتمع في مجال الصحة العامة أكبر. ولأنها تنذر نفسها لأجل الكل، آثرت أن تتلقى مزيدًا من العلوم، فيممت شطر إنجلترا واصطبرت، فصارت استشاريًا للصحة العامة ثم مديرًا لها بالحكومة المحلية في منطقة (ددلي) من بين مائة واثنين وخمسين مديرًا في عموم بريطانيا.

ترى في نفسها ومن خلال رسالتها التي تقدمها بصورة راتبة في إذاعة البي بي سي والحكومة المحلية باللغة العربية، المقدرة على خلق المرأة القيادية.

تسهم بقدر كبير في رسالتها الصحية لتشمل السودان أيضًا، في دورات تدريبية للكوادر الصحية على فترات غير متباعدة.

نالت ميداليتين للقيادة وللعمل مع الأقليات من الكلية الملكية للصحة العامة.

لها مشروعها في القيادة والكفاءة الشخصية، وتعمل عليه من خلال أكاديمية القيادة حيث يشمل تدريب القيادة وقيادة المنظومة بتأهيل الأطباء السودانيين ليكونوا أكثر قدرة على تجويد الخدمات، وتتمنى مواصلة عملها.

تستمتع، برغم مسؤولياتها، بتقديم محاضرات التدريب. وعبر قناة "سودان لا يعرف المستحيل" باليوتيوب، تواصل إبداعها.

ميادة، لنا معك جلسة تطول، فأنت قامة صعب إدراكها ووجه مشرق للمرأة. تؤمنين بمقدرة النساء على خلق التحول المطلوب ومقدرتكن على نيل مناصب عليا تستطعن من خلالها منافحة الشركاء.

عام سعيد ويوم مجيد لأنثى تشق طريقًا للمجد من هذا الوطن...

في حديثنا عن منافحات لأجل قضايا المرأة في أيامنا هذه، لا يمكن أن تخطئ العين...

دكتورة تماضر الحسن، إحدى ملهمات المرأة ومناصرة حقوقها...

تقف بجلد وثبات تُحسد عليه أمام كل من يطأ لهن على طرف...

تقدم عيادتها على الهواء، تجبر من كسرهن وتقيل عثراتهن، تسعى لتقويم الأسرة ليقوم بنيانها على أساس متين ليكون الناتج صلبًا متماسكًا، متى ما امتزجت العاطفة والألفة والاحترام...

تعالج قضايا مجتمعية بلسان لطيف وفصيح ومعنى مستساغ...

تخرجت في جامعة الخرطوم، كلية الطب، وتعمل اختصاصية طب نفسي بالمملكة المتحدة...

يعجبني صمودها وشجاعتها ومواقفها الثابتة، برغم ما تتعرض له من حملات عداء ومحاولات تكسير وتحجيم...

وغالب الظن سوء فهم الخطاب المميز لها مردّه حرصها على توجيه الرجال للقيام بدورهم في حفظ تماسك الأسرة ليقوى المجتمع ونستطيع بناء الوطن الذي نحلم به...

تنشط في القضايا الإنسانية والاجتماعية، ولها إسهام مقدر في حماية الطفل والمراهقين، وسيكون لها شأن عظيم...

دكتورة تماضر، في يومكن، كوني كما يرجو منك نساء يعلّقن آمالهن عليك...

وختام عمود اليوم مسك نختمه بسيرة

الماجدة أحلام خضر (أم هزاع)، أم الشهداء، إحدى أيقونات الصمود في عصرنا هذا...

فقدت ابنها هزاع، وهو ابن السابعة عشرة، في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية في السودان، العام ألفين وثلاثة عشر، فكرست حياتها للمطالبة بالعدالة للجميع...

كافحت وهي مشرفة في رياض الأطفال تعين النشء زغبًا... تفهم مرارة الفقد، قدمت تضحيات عظيمة وصبرت، وظلت على موقفها من القمع والظلم واغتيال الأبرياء...

تناهض سفك الدماء، ضُربت بقسوة عندما تعتقلها الأجهزة الأمنية...

برزت في ثورة ديسمبر بين جموع المتظاهرين، تهتف وتنادي بسقوط الظلم حتى انقشع الصباح... كسبت ثقة الشباب والمناضلين، فصارت رمزًا للصمود...

في يومكن، سيدتي أحلام، لك الحب كله، والصبر، ورمزية المرأة الأكثر صمودًا وبهاء...

منعطف أول:

الشهيدة ست النفور رمز تضحيات لبنات بلاد عانت الظلم، فخرجت نساؤه وقدمن أرواحهن رخيصة فداء غدٍ أجمل...

منعطف مفاجئ:

إلى نساء كثر يقدمن بلا ضجة أو بغير تغطية...

يقدمن في الخفاء...

يلهمننا فنكتب عنهن وإليهن بغير ذكر أسمائهن...

إليكِ معشوقتي، كل عام وأنتِ بخير...

سم الخياط

نعم الجمل يلج في عرف من يعشق ويهوى، يلج سم الخياط...
سيدتي، ولقد صبرت هواك سنين عددًا، ولعلي باخع نفسي أن أكون مؤمنًا بعشقك وأخاف أن ينكر قلبي هواك، فيضيق صدري ولا ينطق لساني، وهارون أخي ليس قربي، ففرت إلى قلمي أشحذ ذهني والورق ليخرج من مزجهما كلم طيب عساه يؤنس وحشتي وصبابتي وعشقي لكِ...

إفروديت

اعلمي ألا عودة للوراء، وقد وأدت قلبي ولن أعود، والموؤدة تجفف عرقي وتمسح عني رهقي واجتهادي في الحفر عميقًا حتى كادت نياط قلبي تتمزق من فرط ذكرى موعد وغرام وهروب واحتواء وهو...

وما عدت أكترث إلا لغد...

تأذيت واحتملت وآذيتكِ، فعذرًا وأسفي على ذاك سيدتي، ولست أعتذر بغية العودة والمآب، ولكن ليكن حبل المودة واصلًا... فالذي بيني وبين أحبتي لا ينتهي، والذي بينكِ وبينكِ عامر، وبيني وبين العالمين خراب...

محبوبتي

أصلح ما بين تمردي وزحل، فأعتذر وأغادر، فخروجي من رهق الكواكب يحتم عليّ الانتماء إلى عينيها، وأن أذكركِ: ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنينًا؟؟؟

وفعلت فعلتي ورحلت!!!! فعلتها وأنا إذن من الناجين، وأنتِ بين الفائزين لا شك...

العنقاء

ولقد فررت منك حين خفاء وتورية... فالقمر بائن في عليائه وأنا الضياء... لا تحجبني أشعة الشمس عن ولوج قلبك العاشق المتيم، ولن تقف بيني وبينك حسناء...
ما بيني وبينك لهفتي وخوفك... إعلاني وصمتك... بوحي وهروبك...
والحال ما تبدل كثيرًا، سيدتي، وما عدت قادرًا أنتظر...
سامحني، غلطان، بعتذر...

هيامي وعشقي...
يا نائح الطلح أشباه عوادينا، أنأسي لواديك أم تأسي لوادينا؟
سيدتي،
لا تركني للآخرين، إن هم إلا شرذمة قليلون، وإنا لمنتصرون...
تعالي إلى حضني، والعيون تحويك ولعًا وشوقًا...
كوني لي، سيدتي، ولا تخشي منهم فرقًا...
فهم ما عاد لهم من الأمر شيئًا، والأمر كله لعاشقين إن تبتلا فروض الحب، وصليا العشق والهوى، وتنسكا جسدًا يهتز بعشر درجات من ريختر ويسكن حين احتضان...
وددتك أغنية أغنيها مغيب شمسي وبزوغ قمري، فأهجع عندك، وأقسم جهد أيماني أنك لي...
أعلم أنك لي وسأكون لك...
وفي التاسع من مارس أحتضن عيناك وأقول:
"بحبك، ولكل نساء الأرض السلام."

العتق من العشق

وجاءت سكرة الموت، ذاك ما كنت منه أهرب وأحيد... أسائل الله ألا يأتي عليّ شهر هو للخالق، وهو يجزي به، وأنا في حاجة المخلوق...
يكسرني جدًا هذا الشهر والوحدة...
يقتلني ألا يسألني محبوب: كيف يأتيك (الآبري)؟
أموت وأنا من يحمل الصينية طول عمري ليخرج في ذاك الطريق... مرتديًا عراقي وسروالًا قصيرًا... أكشف عن الطبق وأسارع مع الفتية لإيقاف المارة على الطريق...
أقاتل بين الناس أن يكون مجلس العابرين إلى صينية بيتنا...
أفاخر بين الجمع بملاح التقلية والنعيمية وطعم يديها على الإدام...
هي طفولتي وصباي. لم أشهد رمضان إلا وسط أهلي وأحبابي وأسرتي الكبيرة...
تهزمني وحدتي، فصينية (أمي سعاد) وعفاف كانت تحييني...
آتيهما ووالدي -رحمه الله- من أي فج كنت فيه، لأشهد مؤذن مسجدنا يمشي إلى المنبر ليعلننا أن حان وقت فطرنا...
يأتينا شهر عظيم، وهذا آخر خميس قبل أن يظلنا، يرحمنا في أوله، ويغفر لنا في وسطه، ويعتقنا من النار في آخره...
وعتقي لم يحن ميقاته بعد...
معشوقتي...
أفتقدك في هذه الأيام بأشد مما كنت عليه قبلًا، واليوم السادس عشر في شهرك أجدد عهدي إليك ووعدي بالبقاء، وإن آلمني الوجع والوحدة والسهاد، وفقد الرقاق باللبن، وعصيدة سعاد، ونعيمية عفاف، ويداكِ حبيبتي...
سيدتي،

وكل بعيد عن موطنه وأهله وزوجه وداره ليس بها صارخ أو مؤنس، وأنتِ لستِ هنا...

أول يوم هو ميقات غضبي... أنفث فيه وحشتي وعزلتي وأساي...

وشهر أنزل فيه صبابتي وعشقي وحاجتي إليك، وبينات من دموعي لا تتوقف، وفرقان منك وبك ولك وعليك، ومن شهدني فليصم تبتلًا وعدةً من آخر لن تأتي إلا بعد عام، لا ندري أأكون إليكِ، سيدتي، أم بين يدي رحمته وجوار (شاية)...

محبوبتي...

وإن كانت حاجتي منك أسطع، صبرًا عليها، فشهري هذا أعلن توقفي عن الجلد...

والتظاهر أنني بخير... أشهد الله على عجزي أن أقضي هذه الأيام وحدي...

سيدتي، وليس لي إلا أن أقول: لله درككِ عمر، آنسني في آخر رمضان، ويا أنيستي أنا أحتاجك...

فمن يكون معي؟

وأيم الله، إن الدمع لينزل بين يدي هذه اللحظات، حتى لأني لا أستبين الحرف أين هو وأين موضعه، وليس عندي غير صوتك يأتيني، ولكم أرجوكِ هذه اللحظات هاهنا...

مبارك عليكم الشهر،

ورمضان أحلى في السودان

أو بين أحبتك...

ربط الله على قلوبكم وقلبي،

وبلغكم المقاصد...

وأعتقني من عشق ونار...

نكهة الغفران

ويأتي هذا الخميس، سيدتي، وقلبي معلق بين شطيك، وبكثير من غيابك عند مرقدي وهجوعي...

سيدتي،

وجاء الخميس يحمل بين طياته التوبة من شغفي وتعلقي، ليعلن حضوري الدائم بين يديك... وأنا قابع عند آية وحزب وجزء، أراجع حفظي كل يوم لآيات هواك، أرتل سور عشقك، وأحفظ بين الفلجة والشامة نوحي وشكواي، وألحن بعض حين تلك الابتسامة...

محبوبتي،

وفي سراي إليك أدغم الحنين مني والشوق منك إدغام مثلين كبير، فالنون لا تقلب ميمًا...

وحين تنونين روعتك إخفاءً لها، أقابل حياءك بولعي ولوعتي، وباء البداية فيكِ الإقلاب حكمًا لازمًا، فما لباء سكون نونك إلا ميم مجد، ومني، ومديد عمر بين ظهرانيك وكفي...

حبيبتي،

لا تقولي: راعني، بل انظرني، وأنا لم أستطع يومًا تحويل بصري عنك مذ رأيتك بذات اللفتات... ولكأنما حديقة السيف حين استعصت الوسائل أرادتك هاهنا نفيسة، درة، ككتب شاذليٌ يسوح في حلقة ذكر فينجذب تلقاء مشرع حلم فسيح...

رائعتي،

والصوم فيك عبادة، وإتيانك مغيب شمس قبيل بزوغ فجر، سمو روح وتعلق لن ينتهي، وميثاق غليظ تأخذينه مني، فيكون وجاء وباءة فيني أباشرك بها غير عاكف...

معذبتي،
والروح ترق أيامنا هذي، وأنا أشتاقك، أعد قهوتي وأصب من خليط فاكهة، وعصير شفاهك رحيق أفتقده...
أرنو لأيام قادمات أحتضن جسدًا أعشق تفاصيله ورياه، ريان يضحك أعطافًا واردانًا...
رائعتي،
والحبيبة أم هاشم ليل البارحة توصيني: "تسحر يا بني وخذ بلقيمات يقمن هواك إليك..."
أتت أحرفها بردًا وسلامًا على نار قلبي المضني بك...
وأدت خوفي كلماتها، فأدركت صيامي عن الطعام والشراب وشهوتي، وأقبلت أغذي روحي وأسقيها بلا توقف نهار صومي بذكرياتي معك...
والفواجع تترا،
والعشق يكبر،
والحنين يستطيل...
وأظل أنا أعشقك ما حييت، وما تردد فيني شهيق وزفير ينادي بك...
ولأن أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وعتق من الفراق أرجو أن يكون آخره، أو فرحة فطري بنكهة الغفران منك...
وحتى ألتقيك وأشتم عبيرك،
كوني النجمة...

إمساك المشاعر

سيدتي،
وحين تمسك الروح عن اجترار ذكرياتي معك، تنازعني جوارحي فيك، وأسقي ليلك عسى أن يكون بليلتي من يرثني، ويرث من آل نورة، ويك رضيًا...

سيدتي،
والميامن تسبق المياسر حين أفيض بالماء على جسد نضبت مسامه، وتاق بعضه لماء كل صباح، فيزور طيف منكِ ليصب تذكرة لمن يخشى، تنزيلًا من صبابة وعشق قد مضى جُلّه بين هذا وذاك، يمضي ثم يرجع ثانيًا لنقطة بدايته، ويرشح من مسام رمله التوقُّع. وهذه المرة تعرف قانون نهايته...
محبوبتي،
مكلوم أنا، تمضي سويعات يومي بينكِ ومعكِ، وأنتِ هناك وداخلي؛ جسدًا يطوف بين السنتر وصقيع الحرمان، وروحًا تسكن خلجان الرسو عندي.
صوتكِ هو زادي حين أسمع ذاك الطفل منكِ، وذاك الطفل يصخب بالصياح متذمرًا يجلس إليكِ. ثم لا يلبث عقلي برهة ليرى أين معاشه، سكناه، وطعامه، حتى يفر راجعًا إلى سوحكِ مستسلمًا، فما مكان يهبني الهجوع والسلام إلا ديارِكِ، وما أنيس في الحياة إلا أنتِ.
واحبيبتاه،

وهي نداء المكلوم المضطر إذا دعا الله. ومن يغيثنا غيركِ، حبيبتي؟ حين نمسك عن شهواتنا تأتين، وحين نبتعد عنكِ يكن حضوركِ هو الزاد. واحبيبتاه، فهل تكونين معتصمًا وتسيرين جيوش عشقكِ نحو أرضي؟ واحبيبتاه، فهل يضرب أجناد كفلكِ الأرض إليَّ؟ واحبيبتاه، أو استسلمتِ، حبيبتي، لدنيا لا تعطيكِ إلا أنا؟ وإن طال السفر والمقاصد لاحت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، وليس هناك إلا أنا...

واحبيبتاه، انفضي عنكِ التثاقل والركون، جففي نبع الركوع، وهبي بجيشكِ ورجلكِ وبعض من حنين، وتعالي. فرجع الصدى يتعالى ليصم أذني، وأنا في كهف رجائكِ قابع أرقب اللحظات، أحصيها كصوت تنفسي. أسمع حسيس نار عشقكِ، وأرتجف جوف صقيع مشاعري دونكِ، أحتضن طيفكِ ليلًا، وصوتكِ، وأسكب الماء صبحًا.

وحيدتي،

هل أتاكِ حديثي إذ آنست نارًا فقلت: امكثوا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد عندها طيفًا منكِ، عشقًا، حبًا، نبعًا أنهل منه، وهُدى. وخلعت نعلي وثوبي وما يسترني إذ وجدتُ الوادي المقدس لديكِ في حلمي. وما لبثتُ إذ صحوتُ ممسكًا عن شرب وشهوة وأنتِ...

وهذا الخميس أنتِ، وغدًا أنتِ، وكل عام هو يوم لديكِ.

سيدتي،

تفيض عند مقدمكِ أشواقي، وعند صوتكِ الصعود والمراقي.

وغدًا أحطُّ رحالي لديكِ.

شقيت وحدتي منكِ، وكفرت روحي عن سواكِ.

وددت أن أكون هناك، بين يديكِ، عند خاصرة تعرفني.

وخفوت ملامحي فيض ضوئكِ يغمرني.

ولكن...

إلى ابني عمر

مولد سعيد،

سندي،

في كل عام كنت أرقب كيف تنمو، فالسند في هذه الدنيا من أبنائك. الكبير عمر، ذات العناد الذي عشته ونفس الإباء والشموخ.

حين مولده صاح هاشم صديقي وأنا متنسك، عاكف على "اللالوبة" أجردها ألفية، وروح التصوف تملأ مني كل منسم.

شغوف بمكاشفينا. فكان عمر، وهاشم صديقي يأبى أن يناديني "أبو عمر" قائلًا: عاوز تكون المكاشفي.

كبر عمر، وحين بلغ من الصبا مبلغه، أتت ديسمبر، فخر الشباب ومصنعهم. فكان عمر ملك الاشتباك، صائد البمبان، ستر إخوانه وغطاؤهم حين تشتد الأزمات.

جلس معي في اعتصام القيادة رجلًا لا يافعًا. كنت أشعر بأن قيم الوطن لم تمت ما دام عمر يحمل على ذات الوطن بين الضلوع.

لله در عمر، وعام سعيد يا بُني.

وكل عام وأنت سندي.

إن توفيك الحروف قدرك يا عمر، فهذا المستحيل.

آسف أنا يا عمر، لعلي لم أكن لك ولم أقدم لك كل ما تتمنى.

ولكن ثق أن كل أب قد لا يكون بحجم أماني أبنائه، ولكنه قطعًا قدم كل ما يستطيع ويملك.

أحبك يا بُني.

هدأة النفوس

وحين يعقوب يقول: "إني لأجد ريح يوسف"، لأن المحبين يعزّون أنفسهم بروائح المعشوق والمحبوب.
وإذ حرمتني الدنيا أن أتنشق عبير لفح وجهكِ وجسدًا أعشقه، ثم أتى ناحيتي فملأ خياشيم تعبُّدك من ريحكِ، فسعدت. وهذه حرمتها حبيبتي.
فأرض أعيش بها وأنتِ لستِ فيها فأنا غريب فيها، أجوبها بغير هدى ولا كتاب منير.
ليت لي قوة وأمر بيدي لأستبقيكِ جواري. لكان عنت يلمُّ بي قد ذهب، وولَّى بغير عودة.

حبيبتي،
كل الدنيا ثمن بخس لكِ. فحين قذفوا بكِ في حب السفر، ليتني ألقيت دلوي حينها وانتشلتكِ قبل أن يلتقطكِ السيارة. وليتني سبقتهم. ليتني جففت عنكِ بلل الفراق، وآويتكِ إلى حضن يرومكِ اليوم صبحًا ومساءً.
ليتني!

معشوقتي،
صدقيني حين أخبركِ أن رحيل شخص واحد كفيل بأن يجعلكِ تستوحشين الدنيا، وتستوحشين نفسكِ وذاتكِ، ويخيل إليكِ أن هذا الفراغ كوكب كامل غير قادر على ملئه. شخص واحد يستطيع. شخص واحد فقط يسكن فيكِ، فتفيض روحكِ عشقًا وسماحة، وينهل منكِ المارة والسيارة، وتلقي منها قليلًا على يعقوب فيرتد بصيرًا.

سيدتي،
بعد هذا العمر، لم نعد نبحث في الناس عن الغنيمة، بل السلامة والأمان ما نبتغي. وبيني وبينكِ لا زال ألف حائط وسفر طويل. أقصد مزارات السادة كل عشيٍّ وإبكار، عسى يهن من أمر فراق كتب علينا ولقيا بعد سنوات. نبتغي من الناس فقط أبسط الحقوق، أن يدعونا وشأننا. نخطئ تارة وأخرى نصيب.

ملهمتي،
وأنا ألهج بذكراكِ صومًا وأفطر عليها. وما سحور أتناوله إلا ذكراكِ أيضًا. لعلها في سحوري تأتي متبلة بعشق وريح منكِ يضوع في المكان وهدأة نفس تعلو طبق وله تقدِّمينه ملًا، كما ردفيكِ مخصرًا، كما أسفل ناهديكِ. ويتعطف ساعدي ليطويكِ إليَّ. أدخل بين فرع ودجي، وما ألبث أن أهمَّ بلثم شفاه أعشقها. (الله أكبر). يأتي صوت المنع قويًا، فأبارح مائدتكِ التي أعددت بنفسي، وأثوب إلى رشدي لأجد الفراغ والفراق والنجوى.
وبرغمهم أعاود الكرَّة غدًا وبعد غدٍ.
فأنتِ، لا أملٌ حضور ذكراكِ وطيفكِ بين يديَّ.
وحتى ألتقيكِ، سيدتي، وتهدأ النفوس، سأظل أعشقكِ، سيدتي.

عيد الدماء

وكعادتي كل خميس، أمسك اليراع لأكتب إليكِ، حبيبتي. ولهذا الخميس لون مختلف، أحمر قانٍ، دماء تسيل، وقلب معني، وروح تعشقك.

سيدتي

قصفتِ كل دفاعاتي لأصبر على فراقك، رميتِ، حبيبتي، بكل أسلحتك، ترسانة الثبات التي أحتمي بها، دككتِ حصونها، وولجتِ إلى دواخلي بكل ثبات. ومشاة جسدكِ الذي أحب حسمت معركتها، فأضحيتُ مملوكًا وتابعًا بغير رشد مني، أتبع تنهيدةً لكِ، وأخشع عند شفاهٍ تنبس بهمهمات حبٍ تعلنين سلامًا وانتماءً.

محبوبتي

عيد يطل برأسه ليعلنني يتيمًا بغيرك. وكثير من رجال هذا العيد غابوا عن الوجود لأجلنا، ضباط بقوات شعبنا غادروا الحياة التي اختاروا أن يعيشوها هكذا، أرواحهم على أكفهم، يعلمون أنهم سيبذلونها متى ما ألم بنا خطر، نحن المدنيين. فطوبى لهم.

رحلوا في عيد أصر فيه الساسة أن يدخلوننا نفقًا مظلمًا فيه، نزعت قلوبهم المريضة للكرسي، وبعض عمالة واستجداء لعالمٍ آثروه على وطن كليم وعظيم.

حبيبتي

وطني الصغير أنتِ، ومودتي، وحبل رباط وسكون. وكسلا وبورتسودان وكوستي ونيالا والفاشر والأبيض وزالنجي وسنار والدمارين، وكثير من قرى لم تصبها فاجعة هذا الخميس تؤنس وحدتي وتدخل على قلبي المكلوم بعض رحيق فرح، فالوطن، حبيبتي، جمع من مدن وقُرى، لا مدينة واحدة مهما بلغ شأنها. فليتهم يعلمون.

سيدتي
عيد سأبتسم فيه إليك، والفرح يقترب مني لأحيطك بذراعي لهفةً وشوقًا وملاذًا.
سأجعل من حضني إليك موطنًا تسكنين فيه حين خوف يتملكك من صوت قصف وصاروخ بعيد.
ثقي بأني لكِ، وسيكون مني وبكِ غيابة الجب أو ما تخرج الأرحام، صبيًا كيوسف جميلًا، وأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له يسجدون.
صبية كإقلما فاتنة، يهرع إليها عشاق وصالها بقربان كبش أو بعض حنطة وغراب يواري سوءة سلطة يقتتل عليها بعض ساستنا، أيضًا، سيدتي، ويفتلون كما هابيل وقابيل.
حبيبتي
عذرًا، فالقلم لا يأتيني طوع أمري هذا الخميس معلنًا تمرده على حرف درج على تسطيره مع إخوته ليصنع إليكِ خميسًا باهيًا ويخط إليكِ أروع الكلمات.
ولكأن الحروف تجهل موضعها، فلا تدرك بأي درب تسير، أَبَيْنَ نيلين واجتماعهما وعند مقرن عزم البقاء أم أنه يمم شطر أودية وصوب بعيد ليأخذ من التاكا وتوتيل، ويقسط البقاء عند بطانة خير تلفّ من يأتيها بخيرٍ كبير؟
عذرًا،
سيدتي، وأنا كل خميس منذ سنوات أكتب لك هاهنا، آملًا لقياك ذات يوم لأرتوي من فاهك العذب رشفات عشقي الحلال، وأبوح سر نجواي وسهدي. أنفث الشقاء، أستنشق عندك الحياة.
عذرًا، فها أنا ووعدي إليك:
كل خميس، وسألتقيك.

مطرٌ بدون بَراق

ملهمتي
والأيام تمضي، ولا فراق يحدث. وأنا حين اعتمرت غطاء رأسي، وتلفحت جلباب الأنفة، وانتعلت شوقِ إليك، تسمرت قدماي، ولم أستطع بهما حراكًا، وقد نويت الرحيل.
أخذت أنزعهما عن الأرض علهما يستجيبان. ناديتهما باسمك، فأقسمتا بالبقاء، والقلب يهفو إليك، والروح لا تمل بقاءً لديك.
محبوبتي
وصانع الكباب يجول فوق رأس الجميع، هو عندي صوت الريح على الباب. فيسبقني الشوق قبل العينين. أو هكذا تغنى ود الأمين في وعد النوار، فصرنا نغني الحب وفاءً وإخلاصًا.
وصوت هزيم الرعد الذي أفزعنا صغارًا عاد ليعطينا الخوف، والمدافع تساقط علينا رطبًا غير جَنِيٍّ.
ولكأن الرامي يصيح فينا: أو حسبتم أن تُتركوا ولما يعلم أيكم يحب رفيقه أعظم وأجل.
سيدتي
والموت يقرب القلوب. والذي بجانبك إذ تتلفت يمنة ولا تلبث أن تعاود الالتفات يسرة، فلا تراه إليك جنبًا يسير.
والخوف من الفقد يحرك القلوب، فتمني النفس بشريك تلوذ بدفء صدره حين الخافق يكاد يسمعه المار والجار.
وأنتِ تتدثرين ببعضي، والخوف ينالني كما قلبك المرهف. ولكني أتحسس شاربي عندها، فيتسرب بعض صمود إلى روحي، فأكون سترك والوجاء.

معبودتي
أنفر إليك خفيفًا بغير تعلق بدنيا أصيبها، أو أنثى سواك أجيبها حين تنادي: يا علي.
أنفر إليك ثقيلًا بعشقك يكتنفني. أتنفسك، ولا زفير عندي، فبقاؤك داخلي أعظم أمنياتي.
وثقلي بك زادي في أمان أهبه إليك، والحق أنك تمنحيني إياه. وكفايتي منه كثير، ويعود مما وهبتِ أنت إلي إليك يسير.
فاتنتي
وهذه الأيام أقتصد الحروف إليك، ولم أكُ يومًا بها بخيلًا. فأنا أدخرها لأهبك والعالم فيض جمالها، وأذهل الحروف إذ أمتطيها نوق عصافير لأمهرك بها قليلًا مما تستحقين.
فأعذريني إذ يأتي الخميس دون عبقك المثير.
أعذريني إذ تأتي الكلمات دون خصرك النحيل.
وبعض اشتهاءاتي أكنزها لحين لقياك، فأسكب السيول خمرًا وعشقًا، وتضوع عنبرًا، وتزهر فينا بجني جنتين دانٍ.
ويصب بدون براق أو إعلان مطري فيروي أرضك الجدب عشقي.

رهج السنابك.

وغبار الأرض يعلو عن التعارك، فيثير مشاعري وفيض عواطفي.
ولكأن الخيل حين تثير نقعًا وتتوسط جمعًا هو هبوطك إلي، سيدتي، وانتمائي إلى خصب أرض بيضاء، بكرٍ عُفِّرت بأديم أنفضه بقدمي كما أنت.

محبوبتي
الناس قلوبهم معلقة هناك حيث نجم وصقر يزين الأكتاف. وأنت نجمي، وسيفان يتقاطعان عند شفاهك بيض البريق.
يهزني سنا برق يلوح حين إفترار ثغرك الرضاب. وبينما أنا بين يديك تتوق روحي للثغة وتنهيدة بعض حين.
والجمع تفرقت قلوبهم شتى، فلا هم إلي ولا أستطيع بهم لحاقًا، والقلب يخفق بك وبهم ولهم، ولكنه يميز صوت عشقه البتول، فتثب روحي إليك وما ملت الفرار.

سيدتي
احتجت أن أروض الحرف ليأتين مفردات يشبهن خوفي وقلقك، يسكبن عندك مدامعي، يجدن فيك راحتي والأنس بعد شقوة العراك.
ونحن نستغشي ثيابنا لنستخف من عشق يكبل خطونا وقد ثنينا صدورنا إلى حين.
والحين قد يطول، فيضحي دهرًا، فقد أتى عليهم حينًا من دهر، وأنت لي وسيكون حين تصبحون. فلا يطول فراقي وبعدك عني، والصبح آتٍ وهو قريب.
هو عهدي إليك، ومن يفِ بوعده يكن من الفائزين أن أخط حروفي كل خميس، والروح مثقلة بجرمهم، سيدتي.

والدم، محبوبتي، يقلبني ذات اليمين تارة، وإلى اليسار تارة، وصوت الموت يزاور عن كهفي كما تقلبي.
وسيأتي الفرح والنصر، وسنتقاسم الوداد والمحبة والفراش.
وأعتلي جبينك الوضاء، وأعكف أقبل موطئ الأرض فيك، وأمر ثنيات الملفوف والمأكمة، وأرشف زمزم النبع والمعاد.
وحتى ذاك الحين،
هو وعدي القديم.
ترقبيني، فإني إليك مرتحل.

يا عدل، طال الانتظار فعجل...

بإنصاف...

سيدتي،

وللإنصاف وجه لا تخطئه عين...

فحين غُلقت الأبواب وقلت في نفسي: "إلا مناص من عيش لا شريك فيه..."

فإني قد هاجرت في العشق من بعد ظلمٍ، لأتبوأ في الدنيا حسنة وأجر المقام لدي حِجر وكفل أكبر لو كانوا يعلمون.

وطفقت أبحث عنك ثنايا الروح، سيدتي، إذ عز بين ظهراني العباد مقامك.

شفيفة، لا تسكنين بحجر وآجار، وتقيمين بين نياط القلب وشغاف الروح.

محبوبتي،

لفح وجهي منك عبير يضوع، فضممت يدي إليك تبحثان عصعصًا قد غاص وادٍ سحيق. ومررت مرضعًا كحق العاج، رخصًا حصانًا من أكف اللامسين، إلا بناني. وإذ الجميع لا يتخذون إلهين، تخذت معابدي بينهما. فحينًا التقم عشقي بفمٍ، واذهب صوب ذاك الوادي لضرب الأرض عنده، فإياه نرهب ونرغب.

إفروديت،

لا زلت أبحث عن عدل وإنصاف، فمقام الشعر عندي حروف أكتبها لا تفيك حقك.

والعدل منك صمت لا جميل عتاب وغنج.

والروح مني تعطي وستعطي بغير معاد يعود منك.

فإن أتممت عشرًا فمن عندك، وهن ثمانٍ، والعهد وفاء، وإكمالهن قدر من آتته تمشي على استحياء ليؤجر على ما قدم.

وأجري منك صد وعتاب وترقب، وأنا هاهنا...

سأكتبك، سيدتي، بجزائر لا يطؤها غيرنا، وعلي وحي وجل تظهر أحرفي كقمر يجري بينها.

معشوقتي،

وما بي من نعمة ففيض عيناك، وذات العناب يفتر عن ثغر نضيد.

وقومي إذا بُشِّر أحدهم بأنثى اسود وجهه من الغيظ فهو كظيم، بيد أني من نسلهم. إذا بُشِّرت بك لم أتوَارَ عن القوميات، تخذت من سبيل أن أمسكك على هون أو أدسك في تراب. بل ناديت "فريدريك بارتولدي" ليعيد الحرية فيك تمثالًا جديدًا، ويضع قلبي على كفيك، لا نارًا تذيب هواي إليك، فأقوم إلى معبدي عندك.

وأغوص في لجٍّ وهي لحظة احتمالية تغيير قوانين شهقتك ما بعد حديث وإتياننا الفعل الحقيقي.

ويتذكرك حتى تضمك جوانحي عند مقامي، فهو ظامئ إليك.

مترع أنا بالدهشة...

سيدتي، لكم تمنيت أن ينقضي الشهر الكريم بين جنبيك...
أطوف بين أركانك الملأى حبًا ولقاء، وأنا بعيد الإفطار وأنت تتلقين رماد سجارتي على يديك، والإنهاك يغلبني، والشوق إليك أيضًا...
أسارع إلى احتضان عينيك عبادة لله، بعد أن كانوا يختانون أنفسهم، فأذن لنا عندهم صحابة رسول الله أن نباشركم ودًا وحبًا وقمحًا وتمني أيضًا...
سيدتي، لكم حاولت أن أصوم عن الكتابة إليك أيامًا خلت أظنها سنين، وتعدادها لا يجاوز المرات...
فأقبل الشهر الكريم، وصامت شهواتي عنك والطعام، ولم تصم حروفي، إذ أفطرت لديك اليوم غير عابئة بحمل النفس ورهقها، وضغط قد شارف المائتين حتى كاد يزهق روحي، وما اكترثت إلى كل هذا، فقط كانت عيناك تضحكان لدي...
قديمًا ضرب في فنون الشوق أبياتًا صارت مرجعًا، إذ كان شوق بعضهم يسبقهم إلى الباب قبل العينين، وظن أحدهم أن شوقه سيسكن ويهدأ: "كفاية علي أشوف زولا بسمع بزول يكون شافك"، وأنا أظنهم مغالين في شوقهم. فأنا أجلس إلى نفسي لأتخيلك بعض حين تكتبين رسالة، فأهرب إلى بريدي أبحث عنها، وأغتم حينما لا أجدها. تخالجني نوبات التشكك، لا أنك قد كتبتها، لا وأيم الله، بل لماذا لم أقرأها في حينها؟
معشوقتي،
والصوم بدنًا يصح حين الامتثال له، وروحًا تتهذب، ونفسًا تسمو. أجد صومي معك سموًّا في روحي وعلوًّا في ذاتي، ونفسًا تركن إليك، وإليك تحن وتسعى...

ولكأنها الأشواط المليار التي قضيتها ساعيًا بين روحك والجسد قد أورثتني حلاوة الإيمان بك، فِيمَمت شطر زمزمك أرتشف جرعات تقيني الظمأ والهجر الذي تمارسين...

معللتي بالوصل،

لا زلت أرنو إليك، ولا زال خيلي الذي يركض في مضمارك يسعى، وكما العهد لن يتوقف عن السعي حتى ينهك فيموت ساعيًا أو يفوز بوصالك. ولعل خيولهم قد توقفت، فما عدت أسمع رهج السنابك من حولي، أو لربما صارت خفقات قلبي أشد، فقد بت أسمعها كنوبة يضربها الشيخ، فتئن وترن وتصيح: "أحبك".

محبوبتي...

(.....) ما بين الأقواس أنت فقط تعلمينه، حينما ترين حاج أحمد مكومًا وكل همه الوصال، سيدتي. ولعله قد تورم خاطره حتى بانت عيونه ملأى بماء الشوق إليك، ولعل انفجاره يكون عندك قريبًا.

ختامًا، أعشقك...

وحتى الملتقى.

شجرٌ فيه تُسيمون...

سيدتي إفروديت،

قديمًا وحين اقتناء هاتف "٣٣١٠" كنت أكتب الرسائل عليها يومًا تكون إليك، ولعل ذاك الزمان أضحت رسالة: "يقال إن نقاط الماء تثقب الصخر، ليس ذلك بالقوة إنما بالتواصل" رسالة تحرك فينا شجو الحديث، يعقبها "صباح الخير" أو مساء يعم أرجاء المكان...

وأنا، سيدتي، لسنوات أسوق الأحرف إليك، وهي لا تطيق فراق يراعي كل خميس. ولعل اللغة وأحرفها لا تجري عندي إلا إليك، كما ارتجزت وقلت:

"عجبي حبيبتاه،

إنها، أي الأحرف، تفر مني فلا أجد صهوة حرف أمتطيه، وعليها قصد السبيل، ومنها جابر، والخيل، والبغال، والحمير لنركبها، ومنها زينة. وأنا زينتي عيناك، سيدتي، ورضاك عني وركوبي أحرف ما ونيت أصفها لدي قدميك علها تثقب الصخر تواصلًا. وما أرعويت ولا أتيتِ أنتِ...".

معشوقتي،

ومن السماء ماء أنزل بأرضنا، منه شراب لظمآن مثلي إليك، وشجر فيه يسيمون، وأنا بين ناهد منك قد أسيل. صدر عامر يجول العقد فيه على النهدين ظمآنًا...

ومنه سقايتي، ورواء يملؤني فقط حين ألمح طيفًا منه. فماء السماء أصاب ثوبًا منك، فبانت منك أعطاف وأردانا...

إفروديت،

وكم رجوت أن تثقب نقاط الماء في خميسي صخر قلب أعشقه، فينبت لك فيه زرع ونخيل وزيتون وأعناب وأنا...

وما كللت، إذ وجدت يومًا بعد دهر يمر صباح الخير...
وغبطتي بحرف منك تعدل موازين كتاباتي، وأنا أكتب آخر فصل في روايتي الأولى: "إلى إفروديت".
معذبتي،
دعيني أمارس الدهشة في حضورك. فمن أين أتاني الزمان بفسحة منه لأكتب رواية تناهز الثلاثمائة صحيفة وتزيد؟
أو تدركين كم هي عظيمة فيوضك؟ وربّي الذي سخّر البحر لنأكل منه لحمًا طريًا سخّره لي ليكون مهجعي وحلمي أن نلتقي عنده ذات ليلة، وأصيب لحمًا طريًا منك... ثم نصيب ما أخرجناه من جوف لجي، فنهنأ بقرب و...
حبيبتي،
وذات هاتفي القديم أحمله لأعيد إرسال كتاباتي إليك هذا الخميس كما سابقيه، ويعاندني النص، فألقيت رواسي من كلمٍ علّ يمس قلبك ما لم يسعه نص هاتفي...
وحتى نلتقي،
سأحكيك قصتي...

إلى زرابي

وعامي يبدأ هاهنا،
إلى أبيلا،
صغيرتي،
حين مولدك، حبيبتي، تعلقت أستار كعبتك وطفقت أطوِّف بها مذ ذاك الزمان، وإلى يومي هذا تراودني نفسي لأجلس قبالتك، سيدتي...
وأنظر الجمال...
حبيبتي...
وهاشم توأم روحي، نتسكع سوية عقب انتهاء عملنا، ورفقتنا قدميك الصغيرتين وشمس شهر أمسكنا فيه طواعية نبتغي الأجر فيه لله وحده...
تسوقك خطاك إلى بائع القصب، فأتسابق وهاشم لإغداق المال عليك، صغيرتي...
وهو لدينا أهون مما تنتوين...
تدخلين الجنيهات بجيبك، ثم تأتي صاعقة لتزلزل كياننا، يا ذات العامين: (أبّا، أنا عاوزة قصب)...
لله درك، زرابي الحبيبة، أو كما أحب أن أناديك (أبيلا)...
يا سيدتي، ما خوفنا إلا مما سيأتي... وقد اقترب لعلي وهاشم حسابهم، وهم في غفلة معرضون، وبيديك معلقون...
نستجيب لك، حبيبتي، وفي القلب غصة، فما أنت من يرد لك طلبًا، وما أهونه على جيبنا وأقساه على صيامنا...
وما أن تسلمتِ كنزك بيمينك (قصب السكر) حتى مددته بيسارك: (قشروا لي)...
فمادت بنا الأرض، وصاحبي...

وطفقنا نبذل لك كل ما اشتهته الأنفس من عنب وفواكه أخرى، جميعها حضورًا لديك. ولكن يا سيدتي، دعي القصب حتى الإفطار...
ومن له بالعناد والتمرد غيري، ونطفة أودعتها رحم أنثى، فصارت علقة ثم مضغة، ثم أنت...
بكل حزم وبلا رأفة بنا تصرخين: قشروا القصب. لعله بعد ذاك قد أوصى هاشم بائعي القصب ببيعه مقشرًا مقطعًا، ولكن بزمانك، سيدتي، لم يكن من مناص غير أن نقشره لك...
وتف وتف، بعد كل حركة نقوم بها، والصيام قد أخذ منا كل مأخذ...
سامحك الله، صغيرتي. لا زلت أنا وهاشم حتى ليل البارحة نتساءل عن القضاء والكفارة...
وما أن وصلنا ملاذنا، سيدتي، حتى تساءلت بكل صرامة وأمرتنا: يلا البحر.
ولا زلت أذكر هاشم متذمرًا: يا علي، يا أخوي، البنت دي صايمة معانا...
حملنا صينية إفطارنا وخرجنا لا نلوي على شيء غير جرعة ماء نروي بها ظمأ تف تف النهار...
قلوبنا وأعيننا معلقة بذاك الآبري (الساقط).
جلست القرفصاء عند أقدامي، حبيبتي، وحتى ينادي المؤذن، أسائلك بكل حب الدنيا لصغيرة تركت أمها وارتحلت مع أبيها أيامًا تعيشها لجواره، وهي ذات العامين ونيف:
زرابي عصيدة؟
لاااا...
زرابي سلطة روب؟
تهزين رأسك رافضة...
أنادي وأسمي جميع المأكولات حتى تأخذين كفايتك ونتفرغ لذاك الآبري.
وترفضين. طيب، حبيبتي، عاوزة شنووووو؟

بصوت جهور: (أبيلاااااا).
وهي للناطقين بغيرها (بليلة).
وتمر الأيام، أبيلا، وتكبرين، ويأتي مولدك سعدًا على قلبي، لأنني أحبك وأعشقك.
وإذ كان لك من الأبناء من هو مميز بحضورك، فهي أنت، سيدتي.
وفي يومك هذا،
تأتي فصّر الكلمات لا تفيك حقك، موءودة بقلبي،
ساكنة بروحي،
تتسربل ذاتي بحبك كل ساعة،
ولكم أحبك.
وها هي الأيام تفرق بيني ومقامك، وروحي تحلق قاهرة المعز لتراك كل ليل...
تدثرك عيناي قبل فراش تلتحفينه،
تحرسك طبيبتي وحبيبتي،
وكل عام وأنت تدور،
ثم تعود،
لتسكن شاطئك.
زرابي، أحبك،
وكل عام وأنت الخير لكل الناس.
لكم يشده ناظري الثوب عليك، صغيرتي، ولكم أحبك،
وليت نساء الأرض يدعنها فقط،
فليس من بينهن من تستحقه إلاك.

مبرومة حشا

سيدتي،
والتعب قد نال مني والرهق، وأضحي السر الذي بين نهديك اختبأ، يزيد أوار نار تستعر، وجوفي جذوتها تسكنني، وتغبر وجهي بغبار منها، فشحب لوني، وخشيت أن يفتر ثغري متبسمًا فتخرج ألسنة لهب شوقي فتلفح وجهك المنير قبالتي.
وحسبه حرارة لهفتي إليه ولهف به... فحبيبتي إن وقفت عديلة، وإن مشت مبرومة،
وإن قدلت معجنة من وسط مقسومة،
وإن قعدت موهّطة، وا قساوة القومة،
مبرومة حشا، عجوة محس قدوما.
ويا ليت لي في عنابك مس ولمس...
إفروديت
وسحر العيون أنتِ والجسد، وبعض سهاد وكثير من اشتهاء. وبي سكر تملكني، ولا أعجب، كيف بي سكر؟
فخمر مأكمة يضيق الباب عنها، يُسكب رحيقًا على جسدي حين التماس. وأنا بقربك فاتنتي، وأنا المغرم بجمال شفاهك الآمنة، إذ هي ملاذي حين الولع يثور، فيفور التنور، وأصيح: "أن تعالي فاركبي وتستعصمين بجبل، عسي يكن لك حاجبًا من الطوفان"، فتغرقين بلهف منك، وتذوبين حين تعطف ساعدي، فطواكِ...
ساحرتي
والسَحَرُ حين معلوم، واسم يزين شهادات بعضهن، وجسد يرفل في نعماء، لاهٍ بك عاشق متيم.

والجمل لن يلج سم الخياط، ولكني سأفعلها وسأبحث حتى أجد ما يشبهك من كلمات أسوقها إليك مهرًا. فليس بيننا سواها، عساك تؤمنين بها، وتكون هي جسدي الذي تنظرين، وروحي التي تشعرينها، وأنفاسك الحري على صدر عار يحتويك...

رائعتي

فلتقبلي عذري هذا الخميس، فقد ضاعت المعاجم والكلمات. وأنا أحتجب عن الكتابة إليك عطفًا على وعد، ظننت أو أكاد أستيقن أن إبليس قد وفي بما وعد به رب العالمين أن يغوينا أجمعين. فشق علي النفس أن تلوذ بكتاب الله، وثقل على الروح أن تتدثر بالفضيلة وأن تطيع الله عز وجل. فنشزت، وضلت، وعصت قلوبنا.

بيد أن روحي بك، سيدتي، لا تزال تهيم في محرابك، وأذوب أسفًا إذ لم أجد هذا الخميس ما أكتبه. فقد أضلني الشوق، فبكيت فراقك، وأغرقت مراكبي عند شطك المقدس.

وحتى ألثم ثغرك،

سأظل أنتظر.

حُسن المئاب

سيدتي
وها هي جحافل جيشنا على أبواب مدينة لن تدخلها إلا مبتسمًا.
فما علق بتلكم اللافتة يجبرك على أن يفتر ثغرك، فابتسم، أنت على أبوابها، وعند حضرة الجمال.
وحالي كما حال ضيغمنا ربيع وجنده، ها أنا أحشد قواي وما ملكت يميني من وضوح، لأقف عند بابك صامتًا، والصمت في حرم الجمال جمال.
إني لأرفض أن أكون مهرجًا قزمًا على كلماته يحتال.
"كلماتنا في الحب تقتل حبنا، إن الحروف تموت حين تقال".
حبيبتي،
ها أنا أجدد الوقوف ببابك، وأخلع نعلي بواديك المقدس طوي.
ألتمس عند نار وضوحك وصدقك قبسًا، ولعلي أجد على النار هدى.
وأنا عند بابك أرتوي، فاسقيني عشقًا، ظلمت نفسي. ولعلنا من بعد هذا نجعل خلائف في العشق، لينظر أنحسن عملًا...
معبودتي
هنا تُبلى كل نفس ما كسبت، وقد ظلمنا أنفسنا ما أسلفنا. وعسى يكن ردنا إلى طريق الحق، فيضل عنا ما كنا نفتري.
والجمع في الخطاب، سيدتي، صيغة ذنب أحمله وحدي.
قصوري وحدي، وعسى يكن منك لي رجعى وحسن مئاب.
مليكتي
بيني وأرضك خطوات، وبيني وقلبك مسافات سأطويها طي سجل لصحف. سأكتب عليها أني هاهنا.

وعهدي إليك وحدك،
شاكر فضل تعطف منك عليَّ.
أن أحبك ما بقيت لي أنفاس أزفرها،
وشهيق أملأ به حناياي منك.

إلى ورقائي

وسقامي، سيدتي، ترك ندبات لا تخطئها عين على جسدي، وليتها تركت شبرًا لم تصبه بعلة، فأدمتها روحي واعتل قلبي وسقط الجسد نهبًا لكل من أراد غزوًا...

إفروديت،

والروح حين تهزم تتداعى بعدها حصون وقلاع لطالما ظننت أنها مانعتي من الثبور والسقام...

هيهات... يهنأ جسدي بقوة وثبات وأنت لست هاهنا...

جسدٌ يفترش أديم الأرض ويلتحف أسباب السماء... والعهد أنك هاهنا تحت عبد يجأر بالشكوى والشوق وكثير من الاشتهاء...

سيدتي،

واذ بلغت من الكبر عتيًا وسارة إذ بشرت بغلام لم تكتف بكونها عجوز، فأردفت: "وهذا بعلي شيخًا"، ونحن، محبوبتي، لا نشيخ، بل نحيا بحبك ونسعد منكن بالقرب والدنو ونستنشق زفيركن فتتحصن أجيادنا وقلوبنا...

محبوبتي،

والنطاس قدمًا دب يأس منه وتملكه، كلماتي اندهاش وبعض حيرة، فماذا هو فاعل بجسدي المعتل لديه؟

وحين ظنه أنه قد أحيط بي تذكرتك، سيدتي، فاختلط بي نبات من عشقي يسكنني بك، فأخذته روحي زخرفها وازينت وظننت ونفاسي أننا على سقامي قادرون، آتاني صدك ليلًا أو نهارًا، فجعل روحي حصيدًا كأن لم تغن بالأمس...

سيدة النساء،

وهو البوصيري حين وقف إلى البردة يصف حال العشق ما حاد عن طريق:

لولا الهوى لم ترق دمعًا على طللِ
ولا أرقت لذكر البان والعلمِ
فكيف تنكر حبًا بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع والسقمِ
وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى
مثل البهار على خديك والعنمِ
نعم سرى طيف من أهوى فأرقني
والحب يعترض اللذات بالألمِ
يا لائمي في الهوى العذري معذرة
مني إليك ولو أنصفت لم تلمِ
عدتك حالي لا سري بمستتر
عن الوشاة ولا دائي بمنحسمِ

وآخر القول، سيدتي، سأظل أكتب إليك وأشكو السقام والعلة بجسدي، وأكتب شوقي وشهوتي إليك.

ككل خميس، سأظل أحفر كوة في الجدار، فإما التقينا هاهنا، أو في مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا.

وسأظل أحبك.

في بريد إفروديت.

سيدتي،
سنوات تجاوزت الأربع ولم يغب قلمي عن هذه الصفحة ليخط إليك شوقي ويبث لواعجي أحرفًا تضيء حين تزورين الصفحة لتقر عينك...
ولعلمك بأني، كما قباني، خيرتك فاختاري:
ما بين الموت على صدري
أو فوق دفاتر أشعاري
ولعلك تنالينهما...
غدًا، سيدتي، عندما يطير النعاس من عينيك وتستقبلين خير يوم طلعت فيه الشمس، ستجدين رسالتي، ولربما هاتفك يرن لأحكي إليك من جديد قصة الأشواق والريد السكن جوه الضلوع.
لن أكتب هذا الخميس إليك هاهنا، فأنت وهم يعلمون كم أحبك...
سأكتبها في بريدك أنت فقط.
وحتى نلتقي، سأظل أنا.

ورع الحرف.

إفروديت، سيدتي،

والحرف طوال حياتي لم يأبَ حضورًا تحت قلمي، ولعله أدمن الانصياع لخواطري فيجري مدادًا يسكب إليك سجعا وجناسًا وبديعًا...

وها هي حروفي اليوم، كما العطا، يصرح بإمارات الشر تسعى لتفرق وتقتل بني شعبي... تأتي حروفي لتدفق دفقات ملتاع ومشتاق يظن بإمارات تلوح بين مفرقيك وتلك الشامة ناهدة تسكن أعلاه...

سيدتي،

ما أطاعتني الحروف برغبٍ منها، بل سيقت زمرًا لتخط ما يرضيك وتكتب ما أشتهي قوله إليك...

وبين قلبي وروض صباك، أسخرها لك في سبع ليالٍ وثمان أيامٍ حسومًا، فترى القراء والناس فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل ملئت عشقًا وما اهتز لك طرف، سيدتي...

إفروديت،

ولكأني قد أوتيتك بيميني، معشوقتي، فطفقت أنادي: "هاؤم اقرؤوا كتابيا".

إني، يا سيدتي، ظننت أني ملاقٍ حسابيا ورؤى تساورني كل خميس حين أهجع لحرف أساومه ليملأ بعض فراغ بين زرابي مبثوثة وسارب بالنهار سيأتي أميرتي...

معللتي بالوصل،

سأكون هاهنا كل خميس بحروفي، أسوقها كما الأنعام ألزمها عنقي ومكانها، فلا تشتط علي ولا تخرج عن سياق عشقي...

فتأتيك برضي يعيدني أليف هواك وآية عشق تسكنني واشتاقها بين يديك. وبين هذا وذاك يسري ألم طف عني وما خف...
وحتى نلتقي، سيدتي، سأظل أنا.

أنا بمحاسنك بفتخر

سيدة العشق،

وذاتي، والإيمان حلق يعلو وينخفض، وكذا عشقي إليك إيمان بقدر مرسوم يهتز بفعل النائبات، فيخفت، ثم لا يلبث أن ينتفض جمرًا يحرق روحي فتهفو إليك...

لكم تأذيت حين الجلوس بعيدًا عن عينيك، ولأنك موطني في حضرة جلالك، يطيب الجلوس، مهذب أمامك يكون الكلام...

سيدة العشق،

وحين كنت أبحث عن موطئ قدم في روحك لتنتمي إليك فتؤول ممتلكاتك (قلبي وروحي) إليك، كنت أنذر السفر والتعب والشقاء ودماء الرجْع ودموع السجع وبكاء الأطفال، كنت أهبه إليك راضيًا...

وحين تقلبت بين جنبات فراشي، أمني النفس وأحلم بغفوة، وليتني أنوم لو ليلة في كل عام. حين كنت بين اليقظة والأحلام وكنت أرجو أن يزورني النوم، شرد جفني ودمعي غزير لا ينقطع...

معذبتي بالوصل،

إن للجسد حاجات لا تخطئها عين، وروحي تشتاق إليك بلا حدود، وظلت هكذا تهيم بين الذكرى والنسيان حتى اكتحلت عيناي بك، فهامت روحي في سماوات سعادة لم تبارح مقلتي...

فعجبًا أن أبكي عندك فرحًا وحزنًا...

فاتنتي،

أنا بمحاسنك أفتخر، وأنت المحاسن سيدها. يومي البشوفك ببقى عيد، والدنيا تبقى وردية وسعيدة ومعيدة...

سأظل على عهدي كل خميس، أغمس يراع الشوق في مداد اللهفة لأكتب الوجد حروفًا إليك.

ويا...

أنا الترقب وانتظار المستحيل، وفرس الرهان الما كبا، ولا حتقيف خطواتي ليك يا مدهشة...

وعدًا على حق سأقاتل وأظل حتى رضاك...

وأسفي إليك لن يكون كلمات تكتب.

وهكذا يمضي الخميس
وأعتزلهم...
...
...
وبس

وهكذا يمضي الخميس

...
...
والسقام أوحش ما يصيب المرء وهو وحيد...
...
والعالم يُسأل: "أي أولادك أحب إليك؟"
فيجيب: ...
...
لا أستحق هذا، ولكن...
أنا مصدع.
تتخيل؟ أنا ذاتي.
ظهري واجعني.
ياخي أنا ظهري عاوز ينقصّ عديل.
كرعي وراحات قدمي مسخنات.
العجب، أنا ما بتصدقني.
يا سيدي أو سيدتي،
أنا ما بنافس فيك.
أنا أشكو إليك بثي وحزني وهواني بين الناس.
فهل تسمعني؟
...
والجسد يعتل، والعمر يتقدم، والقلب يخفق، ولا مناص...
الحب ترياق، والمريض تكفيه لمسة يد وشوربة حمام...

وكلاهما مفقود...
لا أستحق هذا...
صغيري، هل تسمعني؟
نعم أحبكم.
ويا أنت، يا كل الخطر،
سآتيك رغم اعتلال الجسد.
أحبك.

إلى كوني كريكة

والكون يسع الجميع ويضيق عندي... والتسفار بين وادي المشاكي وصقيع يضرب عند بابك... هي ذات المسافات بين السر الذي ما بين نهديك اختبأ، وذات المسافة إلى برج إيفل وقسطنطين والخرطوم...

سيدتي،

ومقامك بين رضاب وعناب هو دعائي: "يا رب اجعل لي آية"، وما أنا بعاصم نفسي ثلاث ليالٍ لا أكلم فيها إنسيًا. وقد بعدت الشقة بيني وبينها فقارب العام أن يختلف إلى أربع وعشرين... وسابقه من السنون حوت وزحل، و(شاكر) أنا لبعض أمنيات ما زال نبضها بقلبي...

إقلما،

وقلبي إذ خرج حينها على جسدي من محرابه ونادى أن سبحوا بعشقك صبحًا وعشاء، يروم سكنًا وأن يأخذ كتابًا بقوة لينال الحكم على قلبك وجسدك صبيًا وحنانًا لدنك، سيدتي، وكان وما زال وفيًا...

هي بضع إخفاقاتي، سيدتي، معك وعليك... وبسمة تضيء فاهك لا زالت تسكن هاهنا. ولقد حملته، سيدتي، وانتَبذتِ به مكانًا قصيًا، فجاءك المخاض إلى جذع شيء ورين... ويا ليتني لم أكُ شيئًا تُخرج بحسرات وتأخذ معها جناني وقوتي فألهف عليك وعلى وطني...

والعهد، يا سيدي، كما تقولين، هو حفظ متاع حتى يكبر ويستخرج كنزه، فأبنِ عليه يا (علي) سورًا من حماية واجعلني لك من الناصحين...

سيدتي إقلما،

يقيني أنني لا زلت هناك حيث صحوك وعلى ذات الطريق حين أوبتك... ثقتي أني أسكنك كما لم يسكن قبلي ولا بعدي أحد...

عزمي هو أنك لا زلت هاهنا... لم تباعد جسدك وهو إلا مسافة إيماءة بقبول، فيكن لك ما تريدين...

أنثى الضياء،

بهية أنتِ، سيدتي، والبهاء حرفك، والشين شهوة... تنضح بعيناكِ شوقًا، والفاء فخر ورجاء... وآية العشق فيك سامية لا ينالها إلا ذو حظ عظيم...

ولكم جاءت حروفي تحدث العالمين عن مأكمة يضيق الباب عنها... ولا يضيق إلا عندك... وكشحًا قد جننت به جنونًا وهو حسبك وبين... اختبأ... وثديًا مثل حق العاج رخصًا... حصانًا من أكفٍ وشفاه الراضعين... فهو لسيد القلب يأتيه حين يشاء...

معذبتي،

والوَصل فيك شقائي، فلا أنا بأرضك ولا أنتِ عندي... ورحيلي إليك جفاء وحظوة... وهجرك أرضك منفى وسعادة...

والمتوازيان لا يلتقيان إلا عندك أو عند كالُ وقري، وما أطيب اللقاء...

دعائي:

هل ترومني أرضكما أم أرومكما لدي؟ والعشم عندي لقاء وجهك وقبلات أنثرها عن جسد وقد وكريم عجز ورحابة صدر وعظيم كفل وقليل خصر وثورة شفاه...

يقيني أننا سنلتقي ويكن لنا ما نريد...

وحتى الملتقى،

قبلاتي وحبي...

إفروديت، مركز الكون

صدقيني، سيدتي، ما عدت أطيق أن أحمل يراعي لأخط به كلماتي إليك... أود فعلًا لا تدانيه حروف، عناقًا طويلًا ولربما بكاء...

سيدتي،

أشتاق إليك وإلى تلك الروضة أسكب فيها شوقي ليسكن داخلك... وأهنأ بك.

وها هي نفس كلماتي تشبه حالي...

أرسلتها إليكم مرة أخرى عسى يكن ليكم معك حياة.

وحين آدم بالجنان يطوف بها، وأنهار من لبن غير آسن وخمر وما اشتهت الأنفس بين يديه... إذ نادى ربه أن الوحشة تكاد تعصف بي، فكانت (إفروديت) حواء لتذهب وحشته ويستأنس بها قولًا هينًا لينًا، حتى دلاهما بغرور إبليس وحرك الضعف البشري فيهما: "ما منعكما ربكما أن تأكلا من هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين."

الغريزة خوف الموت فطرة، وكلنا يهرب منه، والملك رغبة كل منا...

أراد إبليس أن يعصيا أمر ربهما ترغيبًا بالشهوات، وأراد ربي أن يجعل لآدم أنيسًا من وحشته فأتيتِ أنتِ، إفروديت...

حبيبتي،

ولأن سر وجودك إذهاب الوحشة، وبعث السرور إلى قلبي، وبث السكينة والاستقرار حين تكونين متكأ ألجأ إليه عند الإخفاق، سيدتي...

وأنت معيني على النجاح كل وقت وحين. وأنت بقربي، حتى إذا لامستك تيممت صعيدًا طيبًا من عبقك واغتسلت عند حوضك الكريم تطهرًا...

معشوقتي،

الروح إليك تهفو وتنادي، فكوني قوّامة بالقسط ولا يجرمنك شنآن قوم على أن تعدلي. وعدَ الله الذين آمنوا وعملوا ما خلقهم له أجرًا عظيمًا،

وأنت أهل له استحقته عيناكِ حين احتوتني بحب لم أنظر مثيله، وكتب لك حين اصطبرت فنلتُ ونلتقي...

سيدتي،

كلنا آدم نجوب الفيافي والوهاد بحثًا عنك، نكدُّ في الأرض سعيًا إليك مسكنًا موفورًا بريح طيب تضوّع به ثنياتك وجسدك الملفوف...

كلنا، معشوقتي، يبحث عن استقرار معك لا بدونك. فبما نقضهم ميثاقك لُعنوا وجُعلت قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه فيكذبون، لا خوفًا منك، إفروديت، بل سعيًا لكسب ودادك. كلهم أبناء ذاك الرجل آدم وأنا منهم...

أعشق التبتل في محراب عينيك، وليهدِ الله قلبي لاتِّباع رضوانك، فأسلك سبل السلام، ويُخرجني من ضيق الدروب إلى اتساعها وأنتِ تدسّين يدك على ساعدي، فأشعر بالأمان وأشدّ الساعد على المجداف، وأحلف بك أغير سكة التيار، وأقول: يا إفروديت، يا أغرق...

إفروديت،

وقد تُلي علينا نبأ ابني آدم إذ قربا قربانًا، فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتقبَّل من الآخر. قال: "لأقتلنك"، قال: "إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطتَ إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين."

وها أنا لا أقول قوله: "إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك"، بل عفوت عنك، قاتلتي. وليكن ذنبك وإثمك وإثمي دينًا أحتمله حتى نقف بين يدي عزيز مقتدر أو أكفر عنه فلا ارتحالي...

ولكني إليك أرنو وأنتظر...

فهل تأتين؟

نفسي أنعمُ قليلًا بقربك، عشرة أعوام أو يزيد، لم يهنأ لي فيها بال...

الرمكة

وساريتي بلنط أو رخام... وحُقُّ العاج يثب من ذاك الصدر...
وتمشي الهوينا كما يمشي الوحي الوجل...
ورمكتي هي سلواي وفرحي وحزني...
واذ أتيتها فغرت فاها ونوديت من طرف الوادي المقدس أن ألقِ عصاك، فألفيتها تهتز، وما وليت مدبرًا بل أقبلت إليها وهادك، أهزُّ بجذعٍ وعجزٍ، وأسلك بعضًا مني لديك... وضممتك من رهبي...
وانتشيت سيدتي إفروديت.
صحوت وحلمي يسكن مقلتي، ونمت علّ حلمي يراودني تارةً أخرى فأكمل ضمي ولثمي وأسعد بمحياك...
وإن نتبع غير الهوى نتخطف من أرضنا، وإن مكن لنا فيها حرمًا آمنًا...
فتعالي،
جميلتي...
وكم بطر ثومٌ فأهلكت معيشتهم، ومساكنهم تلك لم تسكن من بعدهم...
وسكني لديك...
وفراشي يتعب مني، أزوره لمامًا كنت قبلها، والحين أسكنه مجبرًا لا بطلًا...
والنطاس قد حار معي... ورفقة الميامن تنتظرك... والسقام يتملكني والجزع...
وروحي إلى صغيرتي تهفو... وهي تطلق لجامًا لن يرد...
وأشتاق ذلك الفتى نحيلًا يبدو وعقلٌ كبير...

ودواء علة الجوى
ثلاث مثاقيل من صافي وصال الحبيب، ولعل نطاسي لم يدرك مصابي...
العشق والجوى وذوبان الروح والفؤاد...
والمثاقيل، سيدتي، منقاة من عيدان الجفاء وخوف الرقيب...
وشفائي ثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع بلا ألف وتاء، منزوعة من عيدان الصد والهجران...
ويؤخذ عطر البخور ولثم الثغور وضم الخصور في وصفة أخرى...
وقلبي يهفو إليه،
وأشتاق سيدي الصغير...
فتعالي، سيدتي،
وكوني هاهنا.
وحتى نلتقي،
أحبك.

الخميس

ولهذا اليوم رهبة لا أزال أستشعرها بذاتي.
خفقان القلب ووجيبه يرتفعان، وتنزل بضع حبات عرق على جسدي المنهك رغم برودة تعم الأرجاء والمكان...
تذكرني حبات العرق ذاتها التي تجوب ظهري حين اعتلاء سيدتي إفروديت، ولعلها بقايا أشواق لم تُسكب حتى الحين...
سيدتي آية حسني وجمال روحي،
إفروديت...
ظننت أن الانتهاء إلا عند قدميك، سيدتي... وموطئ قدماك على قلبي يزداد كل صباح رغم قلة تجاذب الحديث، وإن حدث فهو قيضٌ من فيض أشواق الجسد والروح يتملكنا، فنفضي إلى بعضنا... جزءًا من روحنا وغلٍّ تملك الفؤاد فصار يهذي...
سيدتي،
هذا الخميس يسعدني أن أقدم رقاع دعوتي إليك لتزوري فراشًا باردًا... وبسطًا فاخرة لا ينقصها إلا حرارة أنثاي... تزين مفرقها ذات حبات العرق، وهي وجلي، واحمرار خديها ينبئك كم يسكنها خجل وخوف ونذر ما جنت يداها...

إفروديت،
ذات المأكمة...
وقلبي إذ أوحي إليك أن أرضعيه جمال روحك وعذوبة حديثك يومها... حتى إذا خفتِ فألقيه عند اليمِّ لديك، ولا تحزني فإنا رادُّوه إليك، سيدتي...

كما موسى،

وثقي مرجوتي بين النساء لن يصبح فؤادك فارغًا، فإني قصصت درب روحي، فبصرت بها عن جنب، ومن حولها لا يشعرن أنها تبحث عنك فقط...

ملكتي تعظيمًا،

وكلهم يسمون أنصافهم (مليكتي) تعظيمًا تصغيرًا، ولا أستطيع إلا أن أناديك (إفروديت)، فجلهن أتين قفزًا مجديًا... قلبًا تسكنينه ولا تمكثين عنده... فيسر كان طريقهن، فالحاجة لربما هي أعظم، ولكني كما دعوتك...

أود أن أذكرك فقط أن الخميس قد أتى...

والخميس بروحي وقلبي سكن وشوق وتوق ولهفة لك، سيدتي...

وأنت هاهنا... بقلب نعم بجسدي لا...

أفتقدك، أميرتي وسلواي حين حزني...

ولعلي باخع نفسي أتمنى على الله الأماني أن تأتين تمشين على استحياء لتجزيني أجر ما سقيت روحي بعشقك وأنتِ غياب...

لأنال عن زودي ماشيتك وهي تمرح بروحي...

وعلى نكاحك إذ كنتِ القوي الأمين لأتممت عهدي عشرين حجة لا عشرًا أو ثمانيًا...

ولربما كان عمري بقيته إليك، وهو أعظم الآجال الثلاث...

سيدتي،

أشتاق إليك،

وسأنتظر حتى يأذن الله في أمري وألقاك.

وهكذا أغيب...

سنوات خلت لم يغب فيها خميس عن حروفي، ها هو اليوم قلمي يجف مداده، فما عدت أستطيع بناء جملة أفيد بها غيري...

فعذرًا...

إن لم أكن حضورًا لديك، سيدتي، فالسقام قد تملك الجسد، وما عدت أقوى على حروف يخطها يراع أنهكته الأيام والشهور والسنوات...

ما عاد لي من الأمر شيء... وما استطعت نقب معاجم الصحاح لاختار لك من بين الكلمات أعذبها وأجملها...

إفروديت،

طال غيابي، وبعدت بيننا الشقة، واستطالت حوائط، وقام ألف باب...

وبيني والثلاثاء شوق وشغف، وبيني وبينك ذات الرهق والألم، والسياط تلهب روحي بكلمات

قاسيات...

إلى فلذة كبدي...

أعلم أن حبي لك لا تنقصه الأيام، وربما نعدها ستمضي، وسيكون بيني وبينك ذات ما كان بين إخوة يوسف...

لعلي أردت لك واقعًا لا يشبههم، ولكنها هكذا...

وغدًا نكون كما نود.

وعذرًا حبيبي...

ففي كل عام

كنت أحمل زهرة مشتاقة تهفو إليك،

في كل عام

كنت أقطف بعض أيامي
أنثرها عبيرًا في يديك،
كانت الأحلام بستانًا يزين مقلتي ومقلتيك،
في كل عام كنت ترحل
يا حبيبي في دمي،
وتدور، ثم تدور،
ثم تعود في قلبي لتسكن شاطئيك.
لكن أزهار الشتاء بخيلة، بخلت عليَّ
كما بخلت عليك.
عذرًا حبيبي إن أتيت بدون أزهاري إليك،
وحتى لقاء إن حدث،
ستظلين خافقي.
والسلام.

وهكذا

حينما تركن إلى ذاتك قليلًا من وقت، تجهد روحك في تحمل العنت ورهق الآخرين، تود أن تريحك أنثى أو الأيام، تذهب عنك هواجسًا ووحدة وشقاء.

إفروديت

ملجأي وملاذي وأنا أهمُّ أن آتيك، على دابتي، راجلًا، متكئًا على منسأتي، أهشُّ بها ظنون الغياب، ولي فيها مآرب أخرى.

وإذ هممتُ فلملمتها ذات مبعثرة وقلب مشيد، وحملتُ روحي في فؤاد نازف ما زال يشكو ضيم أيام وسنوات سبقت، فإذا شواظ من قسوة ينهال علي.

سيدتي الجميلة

ما عدت أقوى على اصطبار ووحدة وصراع ومساء بغيرك.

لذا هي رحلتي مع نفسي أيمم شطر وحدتي، فهي سلوتي وبغير أوبة.

وداعًا لكل من أحببت وما عشقت وما حرّكني وصار مني.

وداعًا وربِّ لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا سبيل وحدة، نؤنس فيها أنفسنا، فلا حسيب ولا قريب يعدُّ علينا ما صنعنا.

سيدي الصغير أيضًا، كن بخير، فالسقام قد تمكن بعضك وكلي.

مرجوتي

مهادي قد يكون سعيدًا ولربما بئس ما يكون، ولكني سأقوى، فلا تحاجوني فيما عزمت، فقد أسلمتُ روحي ووجهي، ومن اتبعني فله شقوته.

فعند رسم لها وقفت ساعات الزمان تحية، وسأكون إليها مقيم.

وبينا أستدعي حروفي لأكتب، تراسلني قريبة تسألني الدعاء وأن أحملكم أمانة الدعاء لها بالشفاء، فأورام السقام ملكتها، وأورام العشق صادتني، وأظن النهاية قريبة، فكلانا صرعى.

سألتكم الدعاء لها بالشفاء، علّ منكم من إذا رفع كفيه أجيبت دعوته.

وليت لي فيها نصيب بصبر وحسن مآب.

بينا ميعاد

يا ترى، هل مللت من قراءة أحرفي إليك، سيدتي إفروديت؟
ما بال النسوة في المدينة إذ يجتمعن فيقطعن أيديهن، وقلن: "حاشا لله ما هذا بشرًا!" أو تراهن سيدتي أطلعن عليك؟ لعل يوسف في ثياب منك وريح قد اكتسى؟
والاجتماعي فما بال قلبي وقد شغفه حبك سيدتي، وما عرفت سبيلًا غير عينيك.
وقد قطعت وعدًا إليك ذات ليل أن تكوني بين يدي وبعض صدري وقليل من هناك.
حبيبتي
خُذيني إليك سيدتي، فإني قد دعوت ربي أن يصرف عني كيدهن، أو أصبو إليهن وأكن من الجاهلين.
وليس لدي من أظن أنه ناجٍ لأدعوه فيشفع لي عندك، أو أستتيب ذنبي عنده فتقبلين.
ويا سيدتي، إني أرى بقرات سمان، لا سبعًا أو ثمانًا أو تسعًا، بل هي بلا عدد، هنَّ سنوات عشقي الآتي، لا ما انقضى من عمري إليك.
معشوقتي
وأنا انتظار المستحيل، أباعد غدًا بين ما ضممت لتحفظي آية ومكنون عشق يندي عشقًا وشوقًا وتيهًا.
وغدًا، سيدتي، أضمم يدي إليك فيتعطف ساعدي ليطويك قربي ونهنأ.
غدًا يذهب حاج أحمد بغير أوبة إلى مستقر ومستودع هو له. وما هي أضغاث أحلام، وأنا للرؤية عابرون.

وسأتيك به ليعلم الناس حين يحصحص الحق أني لم أخنك بغيب. فهي نزعات نفسي وروحي إليك. فحين رأيت منك ما بدا لي، راودتني منك أرداف وخصر ونهد وجيد.

لا تبتئسي، سيدتي (إفروديت)، فحين دخول لن يكن عليك من حرج إلا دعوتي، فإذا خلصت نجيًا، سلكت سبيل الأولين.

وكان لنا من الرشد سبيل، وإلى إنجاب إخوة (ما...) طريق لن يخطئه هو وقلبي وجسد إليك يمشي ويسير.

فتعالي إلي.

عاش الحب، دام صفانا

العنقاء، سيدتي.
والعنقاء وصف المستحيل، وصفة المستحيل، وسمت نساء العالم أجمعين.
والسقام يتملك جسدي، حار نطاسو البلاد في مداواتي. فأتيتك، سيدتي، أرفع شوقي صوب عيناي، ثم أدنو إليك وأبتعد خوف وهج روحك يحرق قلبي شظاه ومارج من نار الشوق يلتهم أعضائي ويسكن فؤادي.
ولا زلت أشتاقك، سيدتي.
علمت حين التقيتك أن مصيري لديك، وآخرتي ومعادي. ثم رددنا الكرة إلى دروب العشق، إذ لكم سرت فيها وحدي بلا رفيق.
عسى أن يرحمنا ربي بلقيا أو لطيف وداد.
تعالي إلي، سيدتي، فقد طال البعاد وما مللت الانتظار.
وإذ اعتزلت الكون يومًا فقد كنت خطي حكيم، سئل: لم منعت الناس عيادتك وأنت سقيم؟
وإني هو إذ قال: عوادي ثلاث...
حبيب يشقى لحالي ولن يكون لي أن أؤلمه بحالي.
وعدو يشمت بي ولن أمكنه مني ليروي ظمأ عداواته.
وثالث لا هم له بزيارتي، وفد مع أحدهما، فلا هم لي به.
وفي سقامي وفراش لزمته كان عزائي نعيمية، وبضع كسرة تقيم أودي، وما وجدتك إلي.
إفروديت

آية حسن وجمال. وإذ أدع بالشر دعائي بالخير لحسبتك مع من ظلمني، ولكني عاشق متبتل سوحك، سيدتي. فمالي غير أمنيات خير أرميها على دربك، عسى يجعل ربي منها لك مخرجًا وسبيل لقاء.

ولعلي حين أعرضت، ابتغي رحمة منك، حبيبتي، وقليل حن وكثير معاد.

ورجاء قول ميسور هين لين منك، عطرًا يضوع، وعذرًا مني إليك بضع سنوات قادمات وكل عمري الذي مضى.

ذلك مما أوحي إلي ربي من الحكمة لتؤوبي إلى دربي، فصمت أركن إليه وألوذ به. هو مقام المرهف الأديب، إذ لا خيار لدي سوى أن تموتي على صدري أو فوق دفاتر أشعاري.

وقد اخترت لك الموت على صدري، أشعاري أن تشفي غليلي وشوقي إليك وعشقي.

إذًا، سيدتي، هو قدرك هاهنا...

صدري وتحتي، فلا تجادلي كثيرًا وتعالي.

وسأظل هاهنا أنتظر.

أحبك.

الألسن مغارف القلوب

قديمًا قيل، سيدتي إفروديت، إن اللسان به مهبط الأرواح وجمال السكون. فاعلمي، حبيبتي، أن ترحابك و"أهلًا" ليست أحرفًا تلامس شفاهك فتأتي إلى قلبي شهدًا يريح خواطري المتعبة عندك...
أحبك جدًا...
واللسان، سيدتي، سماح تعلنينه وميثاق تطأه قدماي، تجولان عندك كعقد جال على النهدين ظمآنًا...
إفروديت،
لعل حالي اليوم يشبه هذه الكلمات، فوددتُ إعادتها إليك هذا الخميس. ففي آخر ساعات ليلتي هذه، رميت القلم عشرات المرات عازفًا عن الكتابة، لا إليك ولكنني سقت الضاد إليك علوًا وهبوطًا، وأرجزت القوافي عند خاصرتك، معشوقتي، وما تدللت إلى أعطاف وأردان أشتاق إليها... معللتي بالوصل.
إفروديت،
أكثرُ ما يعذِّبني في اللغة أنّها لا تكفيكِ. وأكثرُ ما يضايقني في الكتابة أنها لا تكتُبُكِ... أنتِ امرأةٌ صعبة. كلماتي تلهثُ كالخيول على مرتفعاتكِ، ومفرداتي لا تكفي لاجتياز مسافاتك الضوئية. معكِ لا توجدُ مشكلة؛ إنَّ مشكلتي هي مع الأبجدية، مع ثمانٍ وعشرين حرفًا، لا تكفيني لتغطية بوصة واحدةٍ من مساحات أنوثتكِ...
معشوقتي،
وددت ألا أكتب حرفًا اليوم لمسافات بين نهديك والجيد قد صارت بعدًا شاسعًا كقارةٍ أم تسطع حروفي معها مسيرًا وإليها اشتهاء يعذب داخلي فيقتات الشوق والوله من روح تسكن بين مقلتيك.

معذبتي،
إني وهن العظم مني واشتعل الجسد لهفًا إليك، ومذ حملته فانتبذت به مكانًا قصيًا...
وقفت أنادي واهتف أن عودي؛ فالجوى بالصدر ما عاد له احتمال.
سيدتي،
أوَصرت ممن لا يرقبون في حبيبٍ يعشقك إلًا ولا ذمة، وأنا الترقب لا ألوي على شيءٍ إلاك؟
وكيف أبتغي من وراءكِ من هن دونكِ إذا لكنت من العادين؟
عذرًا، محبوبتي، فالقادم ينهب الفضاء، يغير التربة والبذور والحليب والأثداء،
ويسقط المرحلة المسطحة، ويستعيد في زماننا العقيم نضرة الأشياء.
معذرة، فإننا غثاء وإننا في متحف التاريخ مومياء ترمقنا عيونهم ويهمسون كلما مروا بنا: بقية باقية من أمة الصحراء.
والضاد بين واحات جسدك تسوح عساها تروي ظمأ مشتاقٍ إليك.
حبيبتي،
سأظل ساعيًا بين صفا عينيك ومروة تثنيك حتى أرث فردوس جسدك، وتقر نطفتي في قرار مكين لنخرج صنوه بأمره تعالى.
أنتظرك سيدتي.

بنت من ورق

لا زلت أذكر اصطباري لعلي أجد في عينيك قبسًا أو أضل طريقي إلى ابتسامتك، سيدتي...

وإذ جلستِ القرفصاء تحكين بضع كلمات تأملين مني فهمًا لما يحيك بصدرك، وتلوذين بي عسى أكون لك حصنًا...

وما وجدتني، إفروديت...

وها أنا اليوم أقف عند بابك المحرم أنوي سعيًا وطوافًا، سبعة أشواط أركض... أتعرق... تخرج مني بضع كلمات ألوذ بك لعلك تكونين حضني... وحصني... مليكتي... وأنت بمكان غير ما أجلس عنده، متقوقعًا على ذاتي، حبيس رُوْح يملؤها حضورك وسماحك...

إفروديت،

سبعة أشواط قضيتها... سعيت عند منكب وجيد... لثمت فاهك العذاب...

ثم أُبت من جديد...

توضأت بحضورك... واستقبلت قبلتك... رفعت كفي، ثم الله ألطف بنا... وخنعت في تبتل مهابة جلوسك إلى كلماتي، تطالعها عين أعشقها...

وأخذت أتلو ترانيم عشقي، ثم يممت بعد سلامي شطر ذاك الوادي... لأسعى من جديد...

الوعد وعد

أميرتي،

والإعراب في سمت الجمال يتبارون بين بعيدة مهوى القرط، وذات الشامة تكحل الخد الأسيل وساعد، وفي بعض حين جيد، ولربما نهد رجراج، وللثغة مكان بين الشعراء؛ تلجلج فعلهم كحرفها حين تنطقه ليان يأتي، وحين يخطه القلم يكون ريان.

والنونة عشق يسكن القلوب ويغمر الخد والروح، وولوجه يسع العالمين على خديها.

إفروديت،

وبينهن نلت حظ الحرف في عكاظ وسوق الشعر والقريض، تمشي الهوينا كما يمشي الوحي الوجل، مثقلة الأرداف تسعى على أرض فيهتز الثرى وقلبي، ووجيب قلبي كدقات رجلها على الأرض، ولكأن حملها مفاتح قارون.

سيدتي،

لقد تنقلت بين الحسام والحسان أجوب أرضهن، وما لبث إلا قليلًا قلبي، فسارع للرحيل. فأنا أرجوك، مذ خُلقت حواء لآدم مؤنسة وحشة، ورفيقة درب. فاعلمي، غادتي الجميلة، أن الدرب طويل، تحفه الشهوات والأنفس الشح، وأنت...

ولم يكن الاحتفاء إلا في معيتك، وعنت الطريق يسرًا إلا معك.

محبوبتي،

وتلقيت منك كلمات، فثاب رشدي، وإذ نودي: اهبطوا منها جميعًا، تشبثت بك، وتبعت طريقك، وأوفيت عهدي ولم أرهبك، عسى آتي منك بقبس أو أجد على جسدك هداي.

وإني لأرجو آية تظلّلنا غمامًا، وأنزل المنَّ والسلوى طعامًا يقيم أودنا، وتسكن به روحًا تغرّبت وجسدًا يسافر... إليك.

وها أنا مقفرة روحي إلا منك... نادية أنت بما حملت وحوي بنيانك وروحك. أطوّف أرضك وأناااااادي:

تعالي إليَّ، سيدتي،

كوني هاهنا روحي.

وحتى نلتقي،

سأظل أناجي ربي أن تكوني لي...

أحبك.

رهج السنابك.

وأنا المتيم قد نحرت فؤادي، ولكم نحرت أفئدة هنالك واستبيحت قلوب، ويظل مهبطها مصرًا، ولكأنهم دعوا بقلها وقثائها وفومها وبصلها.
سرتم وسار دليلكم يا وحشتي...
ووحشتي تسكنني مذ سنوات لم أحط بها خبرًا...
إفروديت،
غادة الجمال والحسن، سيدتي وآية الخصب في تثنيات ذاك الجسد، تنوشني منه مأكمة وردف وجيد...
حرمتم جفني المنام لبعدكم، ورمشي لم يلتقِ أخاه سنوات خلت، حتى تغنيت بين اليقظة والأحلام، وتمنيت أن أنام ولو ليلة في كل عام...
سيدتي،
ومهبط الأنبياء بقربك، وإسرائيل وحلم قديم يتغشاني خفيفًا، فتحبل جوانحي بشوق منك يدر عطفي والحنين لشط إسكندرية، وغيهب مجهول نبدده بشوقنا، ونرمي بأقدام تعبة على مالح أجاج، فيذهب منا خوف غد...
معذبتي،
(إنت كيف؟) بعد غياب أتى سؤالك عني، فسكبت دمعي، ولم ترق مني الدماء، فهي قد أُهريقت عند موطن أجوب حوله... وهادًا وغابات وسهلًا، وزادي أنت وعيناك وغدٌ نستظل فيئه بسودان نشتهيه...
وبلقاك غدًا يكن سعدي،
وفي موطني فخري وعزي.
وأنا عاشق متبتل ذاك الوادي، سيدنا وملوك حلفاية وخرسي ومليط الغمام.

وأنت...
سأظل عاكفًا محرابك، أتبتل حوضك، وأشرب سلاف لمي، معشوقتي...
وأتوكأ عكازي...
و...
وحتى ألتقيك، سيدتي،
أحبك.

أعيد إليك هذه الكلمات

سيدتي إفروديت،

فما زلتُ نصف إنسان أنا، معشوقتي.

حينما أسمَوا الشريك (نصك)، فقد صدقوا إذ قاربوه بالجسد والروح ونبض القلب ودفق دماء، وشهقة أنفاس تنازع ليلج عبيرك رئيَّ، فتؤكسَد المحبة بعطرك ويعود إلى قلبي الخفقان...

وخافقي، وأنتِ هناك، يتوقف كل حين حتى أجلس إلى ورقي لأكتب وصيتي كل خميس بأن تعهدوها بالرعاية، وأجعلوا جميع إرثي وما كنزت... ولي في هذه الدنيا أنتِ فقط. وإذ أنتِ جواري فأنا مالك الكون وما حوى، وبعيدةً عني فمُعدم فقير، أسأل الناس عطفًا وبعض حب أتكففهم: أعطوني أو منعوني...

ذات،

وأنا أنازع الحياة للبقاء علَّ أجتمع إليكِ ذات...

فيجيء صوتك تذروه الرياح، غاضبًا مزمجرًا أو راضيًا، فهو سواء، وقادر على بعثي من جديد...

تحضرين بذات الأقني الذي به فُتنتُ أنا وأعراب الجاهلية الأولى وحظوة صفوة الخلق وعيسى حين يعود ليخلّص النفوس من الأعور الدجال...

تحضرين، وروحي تنزع للخروج عساها تطوِّف بأرضك فترى قبسًا من ضياء وجهك النضير وجسدك المثير، فتهدأ، تؤوب إليَّ أو ترتحل عني، ما عدت أبالي، فبغيرك الناس أنصاف، وأنا عَدَم...

حبيبتي،

الناس تبحث نصفها، وأنا المتيم قد نحرت فؤادي أرتجيكِ، وأنتِ (كُل) وهم، سيدتي. إذ يريدوا خيانتك فقد خانوا قلبي من قبل فأمكن منهم. وعشرون أمس هي أنتِ البهاء والنقاء والجمال، أي نعم أنتِ كل، فالنصف ما عداكِ من نساء، والنصف ما تقوم حياتي بغيره. ولولا كتاب سبق لمسني فيما تركت عذاب عظيم، ولا حياة لي بغيرك، نصفهم وكلِّي...

مرجوتي،

أجعلتم سقاية الروح وعمارة القلب ما برعت فيه النساء والخوادن كمن غمر قلبك بالإيمان وجاهدت، فاحتلت الروح واعتلت الجسد، ثم ضربت على صدرها: إني أنا... فمن أرادت ثكلي أمها فلتقرب (على)... لا يستوون. فسيدتي، وإن هلكت ببعدها، تظل أملي وعشقي المفقود...

معذبتي،

إن آنَ آنٌ، آنَ وقت رحيلي، فأنتِ لستِ إلى جواري، واعتلالك، سيدتي، أعجزني. ولسيدة الأطلال أصيخ سمعي: (أغدًا ألقاكِ يا ويح قلبي من غدِ)

فيا لهفي وأسفي على روح تمزق نياطها ببعدك، وعساها بالرحيل إليكِ أو من الدنيا تشتفي علّاتها. ويك السكون خاتمًا، سكني معكِ أو التراب...

إلى مازن

حبيبي

إلى الشفت الممسح بالزفت...

أربع سنوات يا صغيري يكملن دورتَهن عليك...

أربع منذ صرختك الأولى، ولم أهنأ معك، سيدي الصغير...

كم وددت أن تكون هاهنا، سيدي، حيث مقامي ترافقني إلى المسجد... ويسعد أصحابي بك...

سيدي،

حبوتَ ومشيتَ وناديتَ بابا، ولم أكن حضورًا لديك...

عذرًا صغيري...

في هذا اليوم ينسكب مني الدم قبل دمعي...

لكم أحبك أنا...

ويحبك كل من رآك...

ها أنت تحتفل اليوم مولدًا جديدًا في سراب العمر، وأنت بأصقاع لست جوارك فيها...

سيدي،

أنابك الله عني أمًّا رؤومًا حافظةً لعهدها معك...

كتب الله لها الرضا، وأثابك فتحًا قريبًا، ولقاءً معك به تقر عيني...

عيد مولد سعيد، بني...

وأيم الله يا صديقي وسيدي وابني، لكم أحبك...

وأنت تنازعني منظاري لتلبسه وحذائي... وRed ستوب وYellow اعمل حسابك ثم Green قووووو قووو، بابا... حين تجلس جواري وتلح أن تقود السيارة عني...
لكأنك جواري الآن، وأنا بذات الإشارات أمر...
لم يكن لنا ما أردنا، فعسى يكن لك ما تريد...
كل عام وأنت في سويداء قلبي تسكن،
قرفصاء جلوسك بين أضلعي،
محكر منامك إلى جواري...
مازن، أيها الضيغم،
أحبك.

إفروديت

وحدكِ ستفهمين عذاباتي...
تعبي... ركضي إليكِ... وما تعبت قدماي، بل تعبت منها الخُطى...
قدري...
آيتي...
محبوبتي، أنتِ...
في مولد كل منا حكاية، وحكايتي سأعيشها هي بضع رشفات التقمْتُ إصبع شيخي فدرَّ لبنًا...
وقال حينها للجمع: هو (علي)... وابتدأ المسير، تلقاء روايتي ومدين وشعيبها، وفتيات يزدن يردن سقاية غنمهن، وأنا أرقب ركضهن...
معشوقتي،
وغدًا، نعم غدًا، يكن يوم جديد بقصتي وروايتي في هذه الدنيا، وسيكون لي من نبوءة شيخي ما سيكون...
(أغدًا ألقاكِ يا ويح قلبي من غدٍ)
أنا كذلك، مصيركِ، سيدتي، وقدركِ المكتوب مذ أزال في المهد صبيًا يشير إلى مريمي... ويحار القوم كيف يكلمون من هو بمهده صبيًا...
فأقول:
هي وعدي وستكون.
وحتى نلتقي،
أحبكِ.

قصتي، إفروديت.

هي قصة وطن أعيشها، أسعد بها، وهي عني بعيدة...
أكاد بأخمصي أَطَأ الثريا، حين صوتها يدلف مسمعي...
أغار عليها، ووردي يترنم: كل من قال يا حبيبي افتكرتُه يشير إليكِ...
ولي من حال الأغنية صفتها تتجسدني...
محبوبتي،
أضحيتُ كساسة بلادي: يُلفَظون من الشعب، يُركلون، ويُضرَبون... يُلفظهم مواطن بلادهم، فيسارعون إلى نسبته للخصم. وحين أجد الصد منكِ، أحسب أني قسوت عليكِ حين لفظتُ حبيبتي... لعلي لم أرتب الحروف أو أدغمها... ولربما ظهرتْ حدة في نطق حرف فآذيتكِ، سيدتي، ووعدي الجميل...
ولعلي أشبههم (ساسة بلادي): فهم حين يُلفظون يُصرُّون على الكرسي... وأصرُّ أنا، حبيبتي، على عرشكِ...
تأخذ خدودهم أكف الناس لطمًا... ورغمها، لا يرعوون... بل أكاد أقسم بعد حكمهم ينتقمون...
وأنا، سيدتي...
تملأ خدي دموع شوقي، ولا أزال بك أهيم...
إفروديت،
السنوات تمضي بنا إلى وادٍ سحيق، فهلا أتيتِ، سيدتي؟
وهو تنزيل من رب العرش العظيم على قلبي، فلست أملكه. فقسمي فيما أملك أن أسكت عنك حين الصدود، ولكن ما هو ليس بملكي لا أجد إليه طريقًا غير عشقك، فأعذري صبوتي وجهالتي بعض حين.

وليل الخميس يدلف بين جوانحي، يجيء فؤادي من أقصى الروح يسعى ويقول: يا علي، اتبع هواك، اتبع من لا يسألك أجرًا وهو لك من الناصحين.

وإذ الطمأنينة تسكنني لذكراكِ، سيدتي، فكيف أتخذ من دونكِ خليلةً؟ إن يردن بي كل الخير، لا تغني عني محبتهم ووادادهم، ولا ينقذون روحي من الغوص عميقًا لديكِ. فروحي وجسدي وكلي وبعض مني غارق في محيط روحكِ الجمال، وجسدكِ الخيال.

محبوبتي،

سيدة العشق، إفروديت، دعيني أغمِس قلمي لديكِ، عساها تنطق الحروف فتهتف لديكِ أن عاشقًا ببابكم ينادي، فهل من مجيب؟

آيتي وعهدي ووعدي ورجائي،

والسفر إليكِ محطة أقطعها بكل رضا، فقد عاهدتكِ هنا على صفحتي ألا كلل أو ملل حتى الرسو على شاطئيكِ.

وحتى ندلف أنا وحاج أحمد إلى ديارِكِ الضياء لنرتوي من شهدكِ المذاب.

وحتى لقاكِ، معشوقتي، أظل هنا، فتعالي.

إلى الخنساء

إفروديت

ملهمتي، والقريض نُظم لعينيكِ، ومنكِ أنتِ المفردات جميعها، وإليكِ تؤوب.

والنجم والشجر يسجدان حين خروجكِ إليهما، وحرفكِ البهي مأكمة يضيق الباب عنها.

وكشحًا جننتُ به، وقفتُ حياله، فخرج منه اللؤلؤ والمرجان.

خناس أنتِ،

وريح تبعثني هناك حيث مولدي ونطفة نشأتُ عندها.

آتيتكِ، سيدتي، وبين خلجاتي يسكن طيفكِ وذكرى بلدة هناك.

أهيم بكِ، ولا تزر وازرة جسدي وزر روحي، فهي أشد هيامًا. ثم إلى القلب مرجعنا، فينبئنا بخفقاته حين يخرج من بين الصدور.

فيكشف عنا ضرّ وحشةٍ إليكِ، فيخولنا نعمة لقاكِ بعد أن دعوناه منيبين أن يجمعنا بكِ، فيخولنا نعمة منه ورضا.

وعلى فلكٍ تسلك بنا، متكئين على فرش بطائنها من استبرق، وجنى الجنتين دانٍ.

معشوقتي،

أفمن هو قانت آناء الليل يلهج بثناءٍ للخالق أن وهبه إياكِ،

ساجدًا في محراب عشقكِ، قائمًا يحذر مغبة وآخرة الفراق، وراجيًا رحمة من ربه وعطفًا منكِ ولينًا. فهل يستوون عشقًا، سيدتي؟

سيدتي،

سلكتُ لكِ فِي مسارب نفسي ينابيع ماءٍ يخرج منها أنفاس حُرّى تذيب قلبي المُضنى بهواكِ، وينبت منها زرعًا مختلفًا ألوانه:

حبًا،

ألْقًا،

عشقًا،

صبًا.

ثم يهيج فتراه مصفرًا لبُعدكِ. فيا معشوقتي، رحمة بهذا القلب المُعنّى.

هي نظرة تنسي الوقار، إذ أطوف بين ثنيات الجمال خدًّا وشفاهًا، وعينين تلصفان حدة وذكاء.

دعيني،

فأنا قد اعتزمتُ الترحال بين وهادكِ أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا. وما حب الديار شغفن قلبي، ولكن حب من سكن الديارا.

وسأظل إليكِ أهفو وأنادي وأعشق حتى أضم جبينكِ بين يدي، وألثم كالصبح المنور فاكِ.

وحتى ذلك الحين، كوني بخير.

آيتي

إفروديت

ترانيم أرتلها، سيدتي، حين حضور منكِ وغياب.
أتلو على نفسي حين مواقيت العشق والجوى آياتنا سوية.
وعلى سجادة جسدكِ أقيم صلواتي. أتوجه تلقاء أرضكِ، فأنتِ قبلتي والمرام.
أرفع أكفي خلف أذني، عساها تسمعان حفيف ثوبكِ، فأكبر الله فرحًا لمقدمكِ، حبيبتي.
هذا الخميس، سيدتي، ليس كسابقيه. فالتسفار أرهقني، والهم يزاحم نفسي فتثقل روحي، ولا أطيق الغياب عنكِ.
فآخذ قلمي وأغمس يراعي في حبر الهوى لأكتب إليكِ.
هذا الخميس، سيدتي، قضيتُ جُله بين السحب. أنظركِ هناك بين غيم ومطر، ولم تغيبين.
يا لروعتكِ، إفروديت! فابن فرناس علمتُ الآن أنه كان يرجو رؤياكِ، فطار عساه يجد طيفًا منكِ.
وها أنا على ذات المحمل، أنظر نافذة الطائرة عساي ألمسكِ، فقط ألمسكِ.
فأجدكِ، سيدتي، تغطين الفراغ، حتى خلتُ قوم الأرض جميعهم ينظرون بهاء حبيبتي.
آية أبتدر بها قولي وسجودي بين يديكِ، ويطل نهاية ليل الخميس قبل أن تحط رحالي عندكِ.

في آخر ساعات ليلتي هذه، رميتُ القلم عشرات المرات عازفًا عن الكتابة لا إليكِ، ولكني سقتُ الضاد إليكِ.

علوًا وهبوطًا، وأرجزتُ القوافي عند خاصرتكِ، معشوقتي، وما تدللتُ إلى أعطاف واردان اشتاق إليها.

أكثرُ ما يعذبني في اللغة أنها لا تكفيكِ.

وأكثرُ ما يضايقني في الكتابة أنها لا تكتبكِ.

أنتِ امرأة صعبة، كلماتي تلهث كالخيول على مرتفعاتكِ.

ومفرداتي لا تكفي لاجتياز مسافاتكِ الضوئية.

معكِ لا توجدُ مشكلة، إن مشكلتي هي مع الأبجدية، مع ثمانية وعشرين حرفًا لا تكفيني لتغطية بوصة واحدةٍ من مساحات أنوثتكِ.

معشوقتي،

وددتُ ألا أخط حرفًا اليوم لمسافات بين نهديكِ والجيد قد صارت بعدًا شاسعًا كقارة لم تستطع حروفي معها مسيرًا، وإليها اشتهاء يعذب داخلي فيقتات الشوق والوله من روح تسكن بين مقلتيكِ.

معذبتي،

إني وهن العظم مني، واشتعل الجسد لهفًا إليكِ، ومذ حملته فانتبذت به مكانًا قصيًا.

وقفتُ أنادي وأهتف: عودي، فالجوى بالصدر ما عاد له احتمال.

سيدتي،

والضاد بين واحات جسدكِ تسوح عساها تروي ظمأ مشتاق إليكِ.

حبيبتي،

سأظل ساعيًا بين صفا عينيكِ ومروة تثنيكِ حتى أرث فردوس جسدكِ، وتقر نطفتي في قرار مكين لنخرج صنوه بأمره تعالى.

أنتظركِ، سيدتي.

قسمة ضيزى

إفروديت...

وحين رن هاتفي وحمل اسمك... لبرهة من زمان لم أدرِ ما أفعل، فالوجوم سيد موقف عاشق متبتل قضى الليالي والشهور والسنوات بك يحلم ويراك يقظة حين يصافح أقرانه. أرى في كل شخص وعدي القديم...

لبثت هكذا أنظر إلى الهاتف، علّ في الأمر خطأ...

حملت هاتفي بيدٍ ترتجف، وخافقي يكاد يخرج من أضلعي...

هل رددت التحية؟ هل قلت لها: أحبك سيدتي؟ هل نظرت عيناها واحتضنت جسدها الجميل؟

أظنني همهمت ببضع أحرف وتركت الأمر لها لتفهم، كعادتي معها، أترك كل شيء لها...

ظفرت بصوتها بعد صبر وعناء وتعب، فقط صوتها، وأنا المكلوم المشتاق الملتاع المحب، وهي غير عابئة أو ناظرةً إلى وجودي في الحياة...

لم أنتصر لذاتي، وهكذا العاشقون... بل أقسم أن سعادةً طافت بجوانحي تكفي العالم بضع سنين ليعيشوا هناءة الحب...

وتلك قسمة ضيزى، إفروديت...

ملتاع مكلوم يفرحه همس منك، سيدتي...

وبينما نحن في تجاذب أطراف الحديث، بلغ مني العطش إليك أيما مبلغ، لكِ محبوبتي. فذهبت هناك، حيث درج صعدته أمامي، فطفقت أتلمس ذاك العجز وأهتف: يا لحظي...

سكنت تلك اللحظة، وأنا بعد فتق مدخل لم أقصد مخرجًا، فيا لندامتي...

تذكرت كيف وعدتك، وطفقت أقفز فرحًا، سيدتي...
إفروديت...
ولهذا اليوم وقعٌ خاص، تكاد تميد أرضٌ عنك، وتذهب سماء...
وحين تمسك الروح عن اجترار ذكرياتي معك، تنازعني جوارحي فيك، وأسقي ليلك عسى أن يكون بليلتي من يرثني ويرث من آل نورة ويك راضيًا...
الميامن تسبق المياسر حين أفيض بالماء على جسد نضبت مسامه، وتاق بعضه لماء كل صباح، فيزور طيف منك، ليصب تذكرة لمن يخشى، تنزيلًا من صبابة وعشق قد مضى جله بين هذا وذاك، يمضي ثم يرجع تارةً إلى نقطة بدايته، ويرشح من مسام رمله التوقع، وهذه المرة يتعرف قانون نهايته...
مكلوم أنا، تمضي سويعات يومي بينك ومعك، وأنت هناك وداخلي، جسدًا يطوف بين السنتر وصقيع الحرمان، وروحًا تسكن خلجان الرسو عندي...
صوتك هو زادي حين أسمع ذاك الطفل منك، وذاك الطفل يصخب بالصياح متذمرًا يجلس إليك، ثم لا يلبث عقلي برهة ليرى أين معاشه، سكناه، وطعامه... حتى يفر راجعًا إلى سوحك مستسلمًا... فما مكان يهبني الهجوع والسلام إلا ديارك، وما أنيس في الحياة إلا أنت...
واحبيبتاه...
وهي نداء المكلوم المضطر إذا دعا الله. ومن يغيثنا غيرك، حبيبتي، حين نمسك عن شهواتنا تأتين، وحين نبتعد عنك، يكون حضورك هو الزاد...
واااحبيبتاه، فهل تكونين معتصمًا وتسيرين جيوش عشقك نحو أرضي؟
واااحبيبتاه، فهل يضرب أجناد كفلك الأرض إليَّ؟ واحبيبتاه، أو استسلمت، حبيبتي، لدنيا لا تعطيك إلا أنا، وإن طال السفر والمقاصد لاحت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً وليس هنالك إلا أنا...

واحبيبتاه، انفضي عنك التثاقل والركون، جففي نبع الركوع، وهبي بجيشك ورجلك وبعض من حنين، وتعالي...

فرجع الصدى يتعالى ليصم أذني، وأنا في كهف رجائك قابع، أرقب اللحظات، أحصيها كصوت تنفسي، أسمع حسيس نار عشقك، وأرتجف جوف صقيع مشاعري دونك، أحتضن طيفك ليلًا وصوتك، وأسكب الماء صبحًا...

هل أتاك حديثي إذ آنست نارًا فقلت: امكثوا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد عندها طيفًا منك، عشقًا، حبًا، نبعًا أنهل منه، وهديًا؟ وخلعت نعلي وثوبي وما يسترني إذ وجدت الوادي المقدس لديك في حلمي، وما لبثت إذ صحوت ممسكًا عن شرب وشهوة وأنت...

وهذا الخميس أنت، وغدًا أنت، وكل عام هو يوم لديك...

تفيض عند مقدمك أشواقي، وعند صوتك الصعود والمراقي.

وغدًا أحط رحالي لديك...

شقيت وحدتي منك، وكفرت روحي عن سواك، وددت أن أكون هناك... بين يديك، عند خاصرة تعرفني... وخفوت ملامحي فيض ضوئك يغمرني.

ولكن!!!

ولكن!! هو نهج مقدور، فهل يلج الجمل سم الخياط؟

نعم، الجمل يلج في عرف من يعشق ويهوى، يلج سم الخياط...

سيدتي، ولقد صبرت هواك سنين عددًا، ولعلي باخع نفسي أن أكون مؤمنًا بعشقك، وأخاف أن ينكر قلبي هواك، فيضيق صدري ولا ينطق لساني، وهارون أخي ليس قربي، ففرت إلى قلمي أشحذ ذهني والورق ليخرج من مزجهما كلام طيب عسى أن يؤنس وحشتي وصبابتي وعشقي لك...

اعلمي ألا عودة للوراء وقد وأدت قلبي، ولن أعود، والموؤدة تجفف عرقي وتمسح عني رهقي واجتهادي في الحفر عميقًا حتى كادت نياط قلبي تتمزق من فرط ذكري موعدًا وغرامًا وهروبًا واحتواءً وهو...

وما عدت أكترث إلا لغد...

تأذيت واحتملت، وآذيتك، فعذرًا وأسفي على ذاك، سيدتي، ولست أعتذر بغية العودة والمآب، ولكن ليكن حبل المودة واصلًا... فالذي بيني وبين أحبتي لا ينتهي، والذي بينك وبينك (عامر)، وبيني وبين العالمين خراب...

أصلح ما بين تمردي وزحل، فأعتذر وأغادر، فخروجي من رهق الكواكب يحتم علي الانتماء إلى عينيها، وأن أذكرك: ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنينًا؟

وفعلت فعلتي ورحلت!!! فعلتها، وأنا إذًا من الناجين، وأنت بين الفائزين، لا شك...

ولقد فررت منك حين خفاء وتورية... فالقمر بائن في عليائه، وأنا الضياء... لا تحجبني أشعة الشمس عن ولوج قلبك العاشق المتيم، ولن تقف بيني وبينك حسناء...

ما بيني وبينك لهفتي وخوفك... إعلاني وصمتك... بوحي وهروبك...

والحال ما تبدل كثيرًا، سيدتي، وما عدت قادرًا أنتظر...

سامحني، غلطان، بعتذر...

هيامي وعشقي...

يا نائح الطلح أشباه عوادينا، أنأسي لواديك أم تأسى لوادينا؟

لا تركني للآخرين، إن هم إلا شرذمة قليلون، وإنا لمنتصرون...

تعالي إلى حضني، والعيون تحويك ولعًا وشوقًا...

كوني إليَّ، سيدتي، ولا تخشي منهم فرقًا...

فهم ما عاد لهم من الأمر شيء، والأمر كله لعاشقين إن تبتلا فروض الحب، وصليا العشق والهوى، وتنسكا جسدًا يهتز بعشر درجات من ريختر، ويسكن حين احتضان...

وددتك أغنية أغنيها مغيب شمسي وبزوغ قمري، فأهجع عندك، وأقسم جهد أيماني أنك لي...

وحتى الملتقى وتضع هذه الحرب داخلي أوزارها...

سيكون كتابتي خليطًا بين قديم وجديد،

وأنت...

أعلم أنك لي وسأكون لك...

آخر الأنفاس أنت

(وعدي)

سيدتي، ولا جديد غير شوقٍ إليك وعَنَتٌ يمتلك الروح، ومصير مجهول، وأنا الباحث عن تراب وطني وأرضه...

أسوق الحرف فيأبى الانصياع، وتالله لا أجد ريح يوسف أو يرتد بصري حين يُلقى عليَّ قميص أحبتي...

لذا سأعيد إليك بضع أحرف تماثل ما أمر به من سقام ووحدة وشوق إليك.

فأنا، سيدتي،

في آخر ساعات ليلتي هذه رميت القلم عشرات المرات عازفًا عن الكتابة، لا إليك، ولكني سُقت الضاد إليك علوًا وهبوطًا، وأرجزت القوافي عند خاصرتك،

معشوقتي، وما تدللت إلى أعطاف واردان أشتاق إليها...

معللتي بالوصل،

إفروديت،

أكثرُ ما يعذِّبني في اللغة أنّها لا تكفيكِ. وأكثرُ ما يضايقني في الكتابة أنها لا تكتُبُكِ. أنتِ امرأةٌ صعبة... كلماتي تلهثُ كالخيول على مرتفعاتك، ومفرداتي لا تكفي لاجتياز مسافاتك الضوئيَّة. معكِ لا توجدُ مشكلة... إنَّ مشكلتي هي مع الأبجديَّة، مع ثمانٍ وعشرين حرفًا، لا تكفيني لتغطية بوصة واحدةٍ من مساحات أنوثتك.

معشوقتي،

وددت ألا أُخفي حرفًا اليوم لمسافات بين نهديك والجيد قد صارت بعدًا شاسعًا كقارة. أمَّا تسطع حروفي معها مسيرًا وإليها اشتهاء يعذب داخلي، فيقتات الشوق والوله من روح تسكن مقلتيك.

معذبتي،

إني وهن العظم مني واشتعل الجسد لهفًا إليك، ومذ حملته فانتبذت به مكانًا قصيًا...

وقفت أنادي وأهتف: عودي، فالجوى بالصدر ما عاد له احتمال.

سيدتي،

أوصرت ممن لا يرقبون في حبيب يعشقك إلا ولا ذمة، وأنا الترقب لا ألوي على شيء إلاك، وكيف أبتغي من وراءك من هن دونك إذًا لكنت من العادين.

عذرًا محبوبتي، فالقادم ينهب الفضاء، يغير التربة والبذور والحليب والأثداء،

ويسقط المرحلة المسطحة، ويستعيد في زماننا العقيم نضرة الأشياء.

معذرة، فإننا غثاء، وإننا في متحف التاريخ مومياء ترمقنا عيونهم ويهمسون كلما مروا بنا: بقية باقية من أمة الصحراء.

والضاد بين واحات جسدك تسوح، عساها تروي ظمأ مشتاق إليك.

حبيبتي،

سأظل ساعيًا بين صفا عينيك ومروة تثنيك حتى أرث فردوس جسدك، وتقر نطفتي في قرار مكين لنُخرج صنوها بأمره تعالى.

أنتظرك، سيدتي.

مرة أخرى أعيد

أشتاقكِ فدعيني أرتاح لديك.
(ابن زيدون والمحجوب)
أميرتي،
جازيتَنِي عن تمادي الوصل هِجرانًا
وعن تمادي الأسى والشَوقِ سُلوانًا.
بالله، هل كان قتلي في الهوى خطًا
أم جئتَهُ عامدًا ظُلمًا وعدوانا؟
عهدي كعهدك ما الدنيا تُغيِّره
وإن تغيَّر منك العهد ألوانا.
ما صحَّ وُدِّي إلا اعتلَّ وُدُّك لي
ولا أَطَعتُك إلا زِدتَ عِصيانًا.
يا ألين الناس أعطافًا وأفتنهم
لحظًا وأعطر أنفاسًا وأردانا،
حَسُنتَ خلقًا فأَحسن لا تسُؤ خُلُقًا
ما خيرُ ذي الحُسنِ إن لم يولِ إحسانا؟
كم هي شغوفة عيناي وهي معلقة بذلك اللؤلؤ وهو مبعثر على جسدك، حبات الماء المنسكب عليك تثير فيَّ شجونًا كنت أكتمها.
عفا واذكر (كسلا) ولهانًا، فهنالك كان لي حبيب يزين التاج مفرقه، والعقد جال على النهدين ظمآنا.
لم ينسني البعد أعطافًا مرنحةً ولا
حبيبًا بخمر الدَّل نشوانا.

فما تغرب إلا عن ديارهم والقلب ظل بذاك العشق ولهانا.

سيدتي،

والبعد عنك كما القرب لهفٌ وتوق، فللقدود إباءٌ يفضح البانا.

وذات الرجفة تعتريني مع ذكراك أو إذا اختلفت إليك وضاجعت عيناي جسدك الملفوف.

معشوقتي،

إفروديت،

لكم أشتاق إليك وجيدك، وتيار رعشة يسري مع شرك نصبته مواشطك، ولولا الجِنَّة بيني وبينها كنت ودرت (يا مولاي) وعيناي ترقبان حبة الماء تمشي من الجيد لتحط على كتفيك، راحلة إلى ظهرك حتى تختفي هناك.

حبيبتي

وحوادث الدنيا تسير بلا انقطاع، فتسلمنا المنون حينًا، والرهق يعصف بنا، تمور دواخلنا بما تنوء عن حمله العصبة أولي القوة، وليتها كانت مفاتيح قارون كنوزًا، لا جبال أيوب صبرًا وحزنًا يعتمل الفؤاد، ولعل رحمة ربي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم.

معللتي بالوصل

مرهق أنا، فدعي الماء المنسكب عليك ينهمر، ودعيني أعبث بشعرك المبتل، وأعود طفلًا دون العامين، جائعًا شرهًا، يظنك أمه.

وذات البلال يصيبني معك فيغسل عني حزن الأيام وفراقك، وتبتهج روحي فلم أستطع عليه صبرًا، وكيف لي به ولم أحتط به خبرًا حتى رأيت الماء يبلل أعطافًا واردانا.

سيدتي

وليل التمني رجز ووداد، وحديث شفاهك يبلل روحي، فاقبل عليك.

عذرًا روحي، فما بيدي حيلة، هذا الرهق والتعب البادي على روحي وجسدي، هي إزهاق لنفس أعشق وسحر وجمال...
وأنا أوقد نارًا وشموعًا، فتعالي.

وهكذا
إلى أحبتي
أحمد الضي بشارة
مصعب الضي بشارة

ونفر كريم تفرقت بهم السبل
حين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يخبره بحبه لآخر، سأله المصطفى: "أو أخبرته؟" قال: "لا". قال: "لقد خنته، اذهب وأخبره" (فيما معناه). فأعلموا، وحتى لا أخونكم بغيب، إني قد أحببتكما في الله.
سيدي أحمد
لا زلت أذكر ذاك اليوم من العام ٢٠١٦، وأنت إلى جانبي، ولم نلتق، ننافح سويًا، ونفر كريم رفع الدعم عن الدواء حتى صار ما صار باعتقالك،، فكنت ناطقًا رسميًا باسم العصيان، أنادي بإطلاق سراحك، واقفًا موقفي ذاك، إلا لاعتقاد جازم لم يساورني الشك فيه أنك وهذا التراب عاشقان،، لربما كنت تفترشه غيبًا وتشكيه لواعج شوقك وشوقٍ إليه.
وحين وصولي مطار الخرطوم، وخروجي من مكاتب الجهاز بعد إقرار وتعهد كتبته،، لم أطأ صحن بيتي قبل أن أراك، وأصافح اليد التي ما تدنست ولا تغبرت إلا بحب هذا التراب.
سيدي
وأنا في قعر دارك، مددت يدي إليك، وتعاهدنا أن نكون جيل بناء وإعمار، وأن أنفقنا عمرنا على ذلك...

كانت عيناي تتفرسان وجهك المليء وقتها بالحب لهذا الوطن، ولا أشك لحظة، وإن تفرقت بنا المواقف الآن، أنك ترى من عند زاويتك أنها الحق،،،

لا أود خطاب جهوية أو قبيلة أو مكان وجغرافيا، ولكني أحببت أن أذكرك بأني لا زلت هاهنا أصطف والوطن، ولا أنظر الشخوص،،،

أمرغ جبيني تراب دار اندوكا، والبسابير، والوساع، وسليمة، والرهد، والفاو، وعطبرة، وبابنوسة، والمجلد، وأكاد أخطو نحو ماكير، ومبيور، وأويل...

سيدي لعلها بعض زيغ يصيبنا جميعًا،،

ولعلها غضبة الجندي حين يعاني من تجني....

أخي مصعب

ليعلم الله حين كتبت إلي وأحمد حبيس النظام السابق ألا تصالح، ولو وضعوا الشمس عن يمينك يا علي والقمر يسارك...

والله وتالله لم أصالح ولم أهادن ولن أفعلها، ولا زلت أحتفظ بهذه الكلمات أنظرها حين ضعف مني ووهن يعتريني، فاستعيد بعض عافيتي مما كتبت أنت إلي...

فهل تردها إلي سيدي؟

اعلم أخي أنه بعد ثورة ديسمبر وأنا ألم أطرافي لأبحث طريق عودة إلي لقمة عيش، أسعى في مناكب الأرض ولا أتنكب سلاحي، وأنت تعلم كم كلفني الطريق...

فقدت عند طريق مشيناه شوية بيتي وأسرتي وطفلي الجميل الذي أعشق...

إخوتي، لعلي ما وددت أن أكمل طريق بناء موطني وخراب سببته الأحزاب ونحن نعلم ذلك علم اليقين...

لعلي أود رفقتكما سيديَّ الكريمين
أحبتي، والوطن هو السودان
والجيش هو حصنه المتين ولو كان على رأسه البشير.
وها أنا أمد يدي إليكما لما أعلمه فيكما
من حب لهذا التراب
ولا تثريب عليكما، فأنا حصنكما حين ألذ بكما تكونان قربي...
أفلا أكن عبدًا شكورًا ينصف يومًا وقفتما فيه لأجل السلام والعدالة والمحبة؟
ومن كان بلا خطيئة منا ولم يبارح موقعه أو نكون بأفضل منهم؟
إذ أنتم بالغدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى، ولم ننكس الرؤوس أو نحنيها...
لن أزف خبر نهاية التمرد إليكما، فهذا لا يعنيني في كتابتي هذه إليكما...
ولكن ليعلم الله الحب الذي أكنه لكما وللوطن.
فهلَّا كنتما عند رجاءات قلبيكما؟
واعلم ما بداخلكم، فإنكم أنقياء وإن أخطأتم الميقات...
وسيدحر الجمع وسنبني الوطن وسنعمر الأرض، رضي الأفاكون أم أبوا.
وسندك معاقلهم، أحزابًا وساسة وخونة وعملاء.
وأرجو حينها أن تكونا إلى جانبي...
دوما محبكم
وإن علق أحدنا الآخر على المشانق
فإذا وصلتم في طريقكم إلى حل فاشنقوني، فلست مبدلًا موقفي
وخير أن تفعلاها
لأنني سأفعلها وسأظل أبكيكم وأحبكم.

شط الهوى

إفروديت

سيدتي، تؤام روحي... وليلي يلتقي نهاري، وأدخل ليلين فرعك والدجي... ونطفة خلقت منها، فإذا بي خصيمٌ، والبين يتسع وتظلين دفئًا لي ومنافع...

حبيبتي، وها هي تحملك الأيام مرة أخرى إلى حياضي وأرضي وتنزلك مقامًا لم تكوني بالغته إلا بشق الأنفس... و(التمناية) ذاتها التي ارتحلت فيها... إلى قريب من دار أخرى... وما كانت أوبتي من موتي إلا لمن هو بين يديك...

وعدي...

وتلك وتيني تركض عندك... وشجر فيه تسيمون... أرقب ذاتي وأنت بغيري... بينًا يفرقنا... وعشقًا يجمعنا... بالله عليك ملهمتي...

أوما رأيتني هناك... أجلس إلى ذات الشط أرقب الموج... حائرًا إلى أين يصير بنا اليوم وكيف يضحي المآل...

أستحلفك سيدتي، ألا زالت أنفاسي هناك عند جيد، ومقل، وصدر، وأنت جواري تنتقلين...

معذبتي...

وإذ ألقيتِ رواسي بقلبي لتميد بي وأنهارًا وسبلًا لا تقود إلا إليك...

مرة ثانية... بالله عليك، ألم تجدي ريحي هناك... فمذ هاجرت وقد ظلمت بأرض ووعده الحق ليبوئننا حسنة هاهنا وفخرًا هناك...

ماذا ظننت سيدتي... فالبعد غاليتي لا يصنع الجفاء، فبعض حين يحمل الود والبقاء والذكريات وأنا...

أستحلفكم هل وقفت يومًا عن إتيان المعاجم والكتاب... فأصنع الخميس... وأناديها (إفروديت) تعالي إلي فقد مل قلبي البقاء بغيرك سيدتي وما لدي طاقة احتمال...

موعدي...

لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم لما بقى عاشق عليها ينادي حبيبته يهجو الفراق والأسباب ويمدح... المآكم... وخصرا... وددت لمسه... ويا الله سيدتي، أذوب إذ ذكرت تعطف ساعدي ليحتويك...

والاحتواء ليس جسدًا نضع عليه ما برز فينا... والوحشة أنس لم يشكُ آدم غير وحشته... وما أراد خادمًا... أو من يغسل الثياب... ويصنع الإدام أراد مؤنسًا لوحشة أعرفها جيدًا الآن...

وبيني وهو جنان وانهار من لبن وخمر وأتاه إبليس فأنزلنا معه... ولا زال يأتيني فينسيني ذكرك والعبادة عند محرابك...

ويوسوس فأغيب وأنا قربك سيدتي...

وجيدتي...

ما وددت منها غيرك وإن يكون غيرك فهو الجسد يذهب حيث يغمس نارًا بماء فيطفئ شهوة وسعار...

والروح وهب عند ذات الشط الذي تقفين عليه موهوب إليك...

بالله عليك، أو لست هناك...

فالقي إلى يومئذ السلم سيدتي فيضل عنك ما كنا نفتري...

أشتاقك سيدتي

وحين نلتقي

لن أكون إلا إليك

نطاسي القديم

إفروديت
وهزي إلي بجذع يميد فأميل ميلًا عظيمًا وأتبع شهواتي ويا معشوقتي لعلي باخع نفسي لديك مذ سحيق زمان فلم أبرح مجمع الردفين ونهديك حتى آتي سقايتي منك وفيض عظيم وسكون لديك...
وإذ الخميس يأتي فآتيك على حرف أزود به وعنه ليكون بين عينيك تلتهمينه فتسعدين وأفرح ورؤيتك هي المرام...
حبيبتي
عند أفول شمس كل خميس أجدد عهدي إليك، وشمس تزاور كهفي لديك وتقرضني يمينًا فيمسني نصب الشوق إليك فأتحسس ورقي عساه يتلطف بك ويلج سم الخياط ويهز ردفًا يفتنني يثقل خطوك والمسير... ولعيناك سحر في غمدها والبتار منها معشوقتي يذبحني في الحالين... وأنا التردد والتمرد والانتظار...
سيدتي
ونطاسي القديم إذ آوي إلى فراش أبيض صريع هواك وجسدي... والاعتلال مني ينال... والسقام ينتشر هشيمًا عليه نار... ويحار الجمع، أو كلما زاد شوقي وحنيني ورغبتي إليك، لزمت الفراش أشكو الوحدة ولا مناص غير أن أصبر نفسي لدى قوم يدعون ربهم فيهديهم رشدا أم أصبو إليهن واك من الجاهلين...
والشوق والمرض صنوان عندي يمتلكاني كليهما وإرم ذات العماد... ملهمتي...

وطيفك يكفيني وقليل أراه منك كثير وصفحة وجهك تبتسم إلي أو عبوسًا كانت فهي الملاذ... والسقام هاهنا وقلبي ينجو بك... وإذ الضر قد مسَّ أيوب بلسانه... وضري بقلبي وجلدي... والعطب عظيم وبيني وكهف يزوره إفترار ثغر ومس شفاه ودفء يغمرني حين احتضان... فياليت قناة منك تلين فأذهب عني علة لبثت تعاودني... وأنزل ماءها العليل لديك ويشفي قلبي والجسد...

رائعتي،

أشتاقك وأحن إليك، والرجاء مساكن نحلي فيها من أساور من عشق وتوق ولقاء، نلبس فيها ما إذا طفقنا نخصفه لم يستر عورة ولكنه يزيل ما بنا من سقام. واستبرق وسندسًا علينا، متكئين فراشًا أو أريكة، نعم الثواب احتضانك ونعم الدواء والعلاج...

وأنا بعد حديثي إليك لم أبرح مكاني ولم أحرك ساكنًا إلا لسوح كتابتي هذا عساي أبلغك... أن يا إفروديت، إني أعشق منك كل ما يعتريك وحملت من أثقال أو تخففت في بعض مواضع عنها... فأتي قوامة كمًا أشتهي وأروم ناحلة عند مفرق الثقلين مكتنزة بعدها ولاجئة إليّ... ناظرة لعيني من وراء حجاب وتكلميني كفاحًا...

إفروديت،

وقد ناضلت طويلًا للبقاء وحدي واحتمال الغياب، ولكني أعلن استسلامي عند قدميك جاثيًا وأضم راحتي إلى وجهي...

أرجو أن يكون عندك، سيدتي، نهاية وحدتي وشفاء سقمي...

فالعشق تمكن مني وأمكن فيَّ... وتاقت روحي إليك حتى ما عاد مني صبرًا... أو احتمال قسوة وجفاء...

تعالي إلي مهجعك هاهنا، وقري عينًا... وهزي إلي بجذع نخلك، واسكبي عندي سلاف لماك...
وأحضنيني،
وحتى نلتقي،
لك مني عشقي وسقامي،
وسأظل صريع هواك...

ختامًا إلى أمي بداية ونهاية

وهكذا أنا،

بين نساء لست منهن...

جلسن إليَّ في كل مرة وهن بوعدهن أن يكنَّ أمي التي أشتهي أن تكون حاضرة...

ذهبت إلى المدرسة صغيرًا أتوكأ كتف أبي وأفتقد ذلك الساندوتش (الحشوة) الذي يحضره الصغار معهم ويفخرون، أمّي حشت لي سلطة أسود...

فأنزوي إلى ركن بعيد وتنهمر دموعي فأحبسها وأنكب على دروسي ورفاقي أمرح معهم وأقدم لهم يد العون ما استطعت إلى ذلك سبيلًا...

سيدتي...

ما أفلحت في حياتي قط بعدك... كنت أسوأ زوج وشريك ورفيق لأي أنثى... تعثرت في تحصيلي... توقفت لدي أي ركن أجتر ذكرياتي وأبكي...

أهرع بكل فرح الدنيا عند أول نداء حب أو شعور باهتمام إحداهن... أبحث عنك داخلهن ولا أجدك... ثم أقفل راجعًا أجتر خيباتي ومزيدًا من انكسار... وفي عودتي تلحظني إحداهن باكيًا محمرَّ العينين فتكفكف دمعتي وأتعلق بها مجددًا...

محبوبتي...

في طريق بحثي عنك وخذلاني وفشلي، وجدت سيدات كثر وأمهات، ما أعظمهن، يتقين زمهرير الشتاء بحضن أطفالهن...

تتعطل مدفأتها فتوقد من حنايا روحها وجسدها نارًا عسى بها يستدفئون...

إلى أمهات صغيرات...

إلى كل أم احتملت هموم الدنيا وحيدة... إلى كل من هجرها زوج غير رحيم (مثلي)... إلى كل أم ما عادت تدرك، أهي أنثى أم رجل، تحملهما الجنسين طيات أفعالها فتكن بديلًا لنا في حسمها وأمرها... وتكن هي رؤومًا عطوفًا على عيالها...

وتكن الملاذ والأمان لذاتها المتعطشة لرجل وتصد ذئابًا عنها...

أحبكن سيداتي...

وفي حضرة يومكن أصبر نفسي مع الذين يدعون ربهم غداة وعشاء عسى يتعلمون منكن معنى الثبات... لكن في هذه الدنيا أنهار تحلون فيها من أساور من ذهب وتلفظونها لكي لا يكن بأطفالكن يتمٌ أو حرمان...

سيدتي أمي...

تحت الثرى منذ ميلادي وأنا أرفع الأكف كل يوم أتضرع لله عز وجل أن يكن قد أبدلك دارًا غير دارنا التي تجولت فيها من غيرك وتملكني خوف الظلام وكلب الجيران...

أسأل الله كل صباح أن يبدلك أهلًا خيرًا منا فقد صرنا بعدك للرحم قاطعين والسوء له القدح المعلى فينا...

إليكن جميعًا

وإليك أنتِ وتعلمين من أنتِ...

يوم سعيد وعام مبارك

و...

فهرس

مقدمة وإهداء ٥
رسالة صديقي ورفيق الدرب ٧
إلى وضاح الصديق المكاشفي ١٠
كتاب في قرطاس ١٤
بدون عنوان ١٧
وأنا أترقب وانتظر المستحيل. ١٩
على فراش النطاسي ٢١
مضرجًا بدماء عشقي لها. ٢٣
حسبنا الشوق والتوق ونعم العذاب ٢٥
ومضى عهد ٢٧
وسار بأركان العقيش مقرنصًا. ٢٩
فهل تدلفين؟ ٣٠
آخر الأنفاس أنت ٣٢
أبو الدرداق مختصر الحديث ٣٤
وحشة وليل طويل ٣٥
متعب فدعيني أرتاح لديك ٣٧
لأنك مختلف ٤٠
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها... ..... ٤٢
عهد الحب ٤٤

والروح تأنس من يلاطفها. ٤٧
إفروديت، مركز الكون. ٤٨
زمرًا ٥٠
شهيق ٥٣
خارج النص ٥٦
لاعج حد الثمالة ٥٧
بشكو ليك يا ربي ٥٩
الأوقص ٦١
هو العشق يحشد أجناده ٦٣
أنظرني ٦٥
حافية القدمين (إفروديت) ٦٧
العنقاء ٧٠
قصة الظهيرة ٧٢
خمر معتق وعشق مثير. ٧٤
العنقاء (ديوميد أخرى) ٧٦
إلى العنقاء هذا الصباح ٧٧
إلى العنقاء نهارات الحب ونيرون، ٧٨
وجاءت سكرة الحب بك. ٧٩
بنت الأكرمين ٨١
إلى العنقاء الهزيم ٨٢
قصتنا الصغيرة سفر التكوين ٨٣

قصة الليل عبق الحبيب ٨٤
وغيض الماء ٨٦
وننتقل ٨٨
صغيرتي قمري المنير ٩١
العذراء ٩٣
للرجال فقط ٩٦
الألم اللذيذ ٩٨
خيال الكري ١٠٠
منبع المشاكي ١٠٢
البعث في الدنيا ١٠٤
انبجس القلب ١٠٦
نصف إنسان أنا... ..... ١٠٨
للعشق يوم... ..... ١١٠
نهاية!!! ١١٢
اليوم العالمي للمرأة مارس الأبيض ١١٥
نساء في حياتنا ١١٨
سم الخياط ١٢٢
العتق من العشق ١٢٤
نكهة الغفران ١٢٦
إمساك المشاعر ١٢٨
إلى ابني عمر ١٣٠

هدأة النفوس ١٣١
عيد الدماء ١٣٣
مطرٌ بدون بَراق ١٣٥
رهج السنابك. ١٣٧
يا عدل، طال الانتظار فعجل... ..... ١٣٩
مترع أنا بالدهشة... ..... ١٤١
شجرٌ فيه تُسيمون... ..... ١٤٣
إلى زرابي ١٤٥
مبرومة حشا ١٤٨
حُسن المثاب ١٥٠
إلى ورقائي ١٥٢
في بريد إفروديت. ١٥٤
ورع الحرف. ١٥٥
أنا بمحاسنك بفتخر ١٥٧
وهكذا يمضي الخميس ١٦٠
إلى كوني كريكة ١٦٢
إفروديت، مركز الكون ١٦٤
الرمكة ١٦٦
الخميس ١٦٨
وهكذا أغيب... ..... ١٧٠
وهكذا ١٧٢

بينا ميعاد ١٧٤
عاش الحب، دام صفانا ١٧٦
الألسن مغارف القلوب ١٧٨
بنت من ورق ١٨٠
الوعد وعد ١٨١
رهج السنابك. ١٨٣
أعيد إليك هذه الكلمات ١٨٥
إلى مازن ١٨٧
إفروديت ١٨٩
قصتي، إفروديت. ١٩٠
إلى الخنساء إفروديت ١٩٢
آيتي إفروديت ١٩٤
قسمة ضيزى ١٩٦
آخر الأنفاس أنت (وعدي) ٢٠١
مرة أخرى أعيد ٢٠٣
وهكذا إلى أحبتي أحمد الضي بشارة مصعب الضي بشارة ٢٠٦
شط الهوى ٢٠٩
نطاسي القديم ٢١١
ختامًا إلى أمي بداية ونهاية ٢١٤